الكذب مفتاح الخبائث

بطاقة الفهرسة

العتبة الحسينيّة (العراق). مؤسسة الخُلُق العظيم، مؤلّف.

الكذب مفتاح الخبائث/ تأليف: مؤسسة الخلق العظيم. ـ الطبعة الأولى. ـ النجف، العراق: العتبة الحسينيّة المقدّسة، مؤسّسة الخُلُق العظيم، ٢٠٢١ / ١٤٤٣ للهجرة.

٢١٩ صفحة؛ ٢١ سم. ـ (العتبة الحسينيّة المقدّسة؛ ٩٣٤)، (مؤسّسة الخُلُق العظيم؛ ٨)، (الفضائل والرذائل؛ ١).

يتضمّن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٠٣ ـ ٢١٣).

١. الكذب. ٢. الكذب في الحديث. ٣. الكذب في القرآن. ٤. الكذب ـ وقاية وعلاج.

أ. الجعفري، إسكندر، مؤلّف. ب. الساعدي، زياد، مؤلّف. ج. العنوان.

رقم التصنيف LC: BP188.14.F3 J3 2021

تمّت الفهرسة في قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة في العتبة الحسينيّة المقدّسة قبل النشر.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٨٥) لسنة (٢٠٢٢م)

الكذب مفتاح الخبائث

لجنة التأليف
الشيخ إسكندر الجعفري
الشيخ زياد الساعدي

الإشراف العلمي
اللجنة العلمية في مؤسسة الخلق العظيم
الإصدار ٨

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأُولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

مؤسسة الخلق العظيم

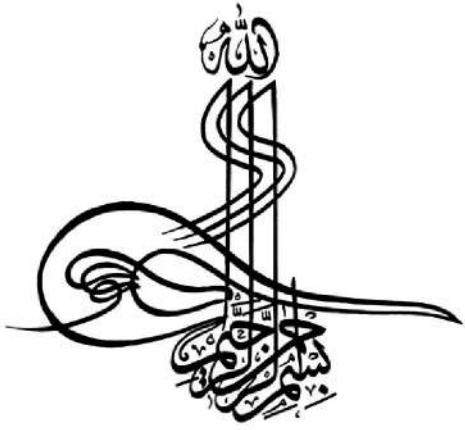

هوية الكتاب

- عنوان الكتاب: الكذب مفتاح الخبائث
- المؤلف: مؤسّسة الخُلُق العظيم
- الإشراف العلمي: اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخُلُق العظيم
- تقويم النصّ: نجم الويس
- الناشر: العتبة الحسينيّة المقدّسة
- الإخراج الفنّي: عبد الزهرة الطائي
- التنسيق: أحمد المذحجي
- الطبعة: الأُولى
- المطبعة: دار المؤمن
- سنة الطبع: ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م
- عدد النسخ: ٥٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤسسة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد كانت الأخلاق ولا تزال هاجساً مهمّاً؛ يشغل مساحةً واسعةً من الفكر الإنساني على اختلاف اتجاهاته ومصادره المعرفيّة، وقد اشتركت في حمل هذا الهمّ الكبير مختلفُ المدارس الفكريّة والديانات والحضارات، وسعت إلى معالجته وفق رؤاها المتفاوتة ومبانيها المختلفة. ويدلّل هذا الاهتمام البالغ على حقيقة في غاية الأهميّة، تفيد أنّ الجانب الأخلاقي لدى أبناء البشر عصيٌّ على الإهمال والتجاهل، وأنّ أيّ محاولة لتجاهل هذا البُعد المحوري والفطري، أو التغافل عنه ليست إلَّا محاولة لضبط بركانٍ هائج، أو السيطرة على ثورة عارمة في أعماق الإنسان تسوقه إلى ما يرى فيه خيره وسعادته وكماله، وهذا ما يدعو إلى التوقّف عند هذا الميل الفطري الجارف نحو الأخلاق؛ للإحاطة به والتعرّف على دقائقه وخفاياه، والسعي لمعالجته نظريّاً وعمليّاً.

إنّ التأمّل في ما تعيشه البشريّة ـ اليوم ـ من أزمات مختلفة على مستوى المجتمعات والأفراد يؤكّد حقيقةً مهمّةً؛ وهي أنّ قسطاً كبيراً من تلك الأزمات يعود إلى وجود فراغات كبيرة في المجال الأخلاقي، أخذت تنعكس سلباً على الجانبين الروحي والسلوكي للإنسان المعاصر، وقد كان لمجتمعاتنا الإسلاميّة نصيبها من تلك الأزمات المتعدّدة الجوانب، فأثّرت بشكلٍ كبيرٍ على التراجع الأخلاقي الملحوظ، سيّما مع ملاحظة مدى التعقيد الذي تتسم به التحدّيات الراهنة، وما تحمله الحياة المعاصرة من تغيّرات مهمّة، وانفتاحٍ غير مسبوقٍ على الأفكار والثقافات والأنماط السلوكيّة المختلفة في ظلّ الثورة المعلوماتيّة، والتنوّع المُذهل في وسائل الإعلام والتواصل.

لا ريب أنّ ملاحظة ما مرّ ذكره، تدعو المهتمّين بالشأن الفكري والثقافي إلى وضع الحلول المناسبة، والعمل الجادّ في سبيل مواجهة هذه الأزمات ومعالجتها على المستويين: النظري والعملي، من خلال التأسيس لرؤية أخلاقيّة شاملة، تقوم ـ في جانبها النظري ـ على الوعي التامّ والدقيق بطبيعة الإنسان، وأبعاده الوجوديّة، وخصائصه، وميوله، ورغباته، والعمل على إحياء القيم والفضائل الأخلاقيّة ـ في الجانب العملي ـ بشتّى الطرق والوسائل المتاحة. ولا تخفى حاجة هذا العمل المهمّ إلى جهد مؤسساتي منتظم، تتظافر فيه المساعي والخبرات في سبيل مواجهة التحدّيات، والنهوض بالواقع الأخلاقي للمجتمع المسلم. وقد سعت (مؤسسة الخُلُق العظيم) لتكون السبّاقة في هذا المجال، وإليك عزيزي القارئ هذه الإطلالة السريعة عليها.

(مؤسسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها

لقد كان الشعور بالحاجة الملحّة للعمل الجادّ في المجال الأخلاقي، من قِبَل القائمين على العمل في العتبة الحسينيّة المقدّسة، حافزاً مهمّاً لإنشاء مؤسسة متخصّصة، ينصبّ جهدها على إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي على المستويين: الفكري النظري، والسلوكي العملي، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي بطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، فتمخّضت تلك الجهود المباركة عن تأسيس (مؤسسة الخُلق العظيم)، التي اشتُقّ اسمها من قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]؛ تيمّناً بما نعت به الجليلُ الأعلى نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله بهذه الصفة السامية، على أمل أن تسدّ جزءاً من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

رؤية المؤسسة

تنطلق المؤسسة من الرؤية الإسلاميّة للأخلاق، وتتبنّى استراتيجيةً عامّةً تقوم على ثلاثة عناصر أساسيّة يمكن أن نُعبّر عنها بـ(الأُسس الميتافيزيقيّة للأخلاق)، وهي:

أوّلاً: الله تعالى بصفاته الكماليّة والجماليّة

تنطلق الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة من مبدأ التوحيد، والإيمان بالله

---

(١) القلم: آية ٤.

تعالى وصفاته وأفعاله، وتبتني على أنّ الله تعالى قد أودع في الإنسان ميلاً فطريّاً يدفعه نحو الخير وتحصيل الكمال بإرادته واختياره، وتُعدّ الغاية القصوى للأخلاق هي الوصول إلى القرب الإلهي باعتباره الكمال المطلق، وتكمن السعادة الحقيقيّة للإنسان في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباغ بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[١]. فالله تعالى هو الموجِد للميل الأخلاقي لدى الإنسان، وهو المقصد والمبتغى الذي يجب على الإنسان التوجّه إليه في كلّ محطّات مسيرته الأخلاقيّة، وأن يكون التوجّه إلى الله عزّ وجلّ هو الروح السارية في كلّ فعّالياته الأخلاقيّة.

ثانياً: النظام الأخلاقي

تعتمد الرؤية الأخلاقيّة المتبنّاة على أنّ الله تعالى كما أودع نظامه الأحسن في الكون، والذي يسير فيه كل مخلوق إلى كماله المطلوب، أوجد ـ كذلك ـ نظاماً أخلاقيّاً متكاملاً، من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الكمال من خلال رسم الهدف الأسمى له، وتعيين طريقه، وبيان العقبات التي تعترض مساره، وتعيين القدوة والمرشد في هذا السير، وهو ما تكفّل ببيانه الدين الإسلامي الحنيف، بل هو من أهمّ الوظائف التي بُعث لأجلها سيّد الرسل صلى الله عليه وآله، كما بيّنه بما روي عنه صلى الله عليه وآله: «**إنَّما بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»[٢].

---

(١) البقرة: آية١٣٨.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

ما يعني أنّ هناك نظاماً أخلاقيّاً متكاملاً ومنسجماً مع فطرة الإنسان، تكفّلت ببيانه الرسالة الإسلاميّة؛ فيتحتّم علينا التعرّف عليه، واستكشاف ركائزه وتعاليمه، والعمل على نشرها وترويجها والتثقيف عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

ثالثاً: الإنسان

يُشكّل الإنسان المحور في السجال الأخلاقي؛ فهو الموضوع الذي تدور حوله كلّ الجهود والفعّاليات الأخلاقيّة بكلّ ما يمتلكه من خصائص وجوديّة، ونفسيّة، وطبيعيّة، وعقليّة، وميتافيزيقيّة، وما له من احتياجاتٍ ورغباتٍ وميول، وكلّ ما يؤثّر في اتصافه بالصفات الأخلاقيّة، وفي صدور الأفعال الاختياريّة منه. ومن الواضح أنّ كل محاولة تهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانيّة يجب أن تنطلق من رؤية صحيحة وواضحة ومتكاملة عن طبيعة تلك الخصائص والميول والمؤثّرات. ونعتقد ـ جازمين ـ أنّ الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة تتوفّر على قراءة واقعيّة ودقيقة وتامّة وشاملة، تغطّي العناصر المهمّة والأساسيّة في وجود الإنسان وطبيعته وخصائصه وميوله، وكلّ المؤثّرات في مسيرته الأخلاقيّة.

وما ذكرناه ـ آنفاً ـ لا يمانع من الانفتاح على العلوم والمعارف المهتمّة بدراسة الإنسان وشؤونه وأبعاده المختلفة، سيّما مع التطوّر الكبير الذي شهدته تلك العلوم وتخصصاتها الدقيقة، كالعلوم الطبيعيّة والإنسانيّة؛ من

قبيل علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، وعلم النفس (السيكولوجيا)، وعلم الاجتماع (السيسيولوجيا)، وعلم التربية وغيرها، حيث يُمكن الاستفادة من معطيات تلك العلوم والمعارف في المجالات التي تصبُّ في سبيل تحصيل الوعي بخصائص الإنسان، والتعرّف على الوسائل المؤثّرة في التربية والتهذيب، شريطة أن لا تتصادم مع الأُسس العقائديّة، ولا تتنافى مع المبادئ والقِيم الأخلاقيّة والتعاليم التربويّة الإسلاميّة.

أهداف المؤسسة

تجدر الإشارة ـ في سياق الحديث عن مؤسسة الخُلق العظيم ـ إلى الأهداف المتوخاة من وراء تأسيسها؛ إذ تهدف إلى:

١ـ رفد المكتبة الإسلاميّة بالنتاجات العلميّة التحقيقيّة في المجال الأخلاقي؛ من خلال تأليف الكتب والموسوعات والبحوث والمقالات العلميّة الرصينة.

٢ـ إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي؛ من خلال رصد الكتب والمخطوطات الأخلاقيّة المهمّة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفهرسة التراث الأخلاقي والتعريف به.

٣ـ النهوض بالجانب الأخلاقي والسلوكي للفرد والمجتمع؛ من خلال نشاطات مختلفة، تخاطب فئات المجتمع من الناشئة والشباب، وطلبة الجامعات، والأساتذة والكوادر العلميّة والثقافيّة والمهنيّة، وأصحاب الاختصاص في المجال الأخلاقي، فضلاً عن الأُسر، والمجتمعات بأطيافها كافّة.

٤ـ رصد المحاضرات والدروس والخُطب الأخلاقيّة النافعة والمؤثّرة التي أفادها العلماء والمختصّون في هذا المجال، والعمل على نشرها بأساليب مختلفة؛ كتدوينها وتحويلها إلى كتب، أو نشرها على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥ـ إقامة المؤتمرات العلميّة، والندوات البحثيّة المختصّة؛ من أجل إثراء الفكر الأخلاقي، وفتح آفاق بحثيّة جديدة، تتناسب مع روح العصر ومتطلباته، وإقامة الدورات المختصرة في الأخلاق العمليّة، سواء منها ذات الموضوعات العامّة، كالأخلاق الإسلاميّة، أو الخاصّة كأخلاق المهنة، وأخلاق الأُسرة، وغيرها.

٦ـ رصد الظواهر السلبيّة في المجال الأخلاقي، والمشاكل السلوكيّة التي يعاني منها المجتمع، والسعي لتقديم دراسة متكاملة حولها؛ بغية وضع الحلول المناسبة لها.

٧ـ إعداد البرامج الإعلاميّة التي تُسهم في معالجة المشاكل الفرديّة والاجتماعيّة المختصّة بالجوانب الأخلاقيّة، سواء منها البرامج المُعدّة للبثّ على شاشات التلفاز، أو المناسبة للنشر على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٨ـ رفد الساحة الفكريّة بالنتاجات الأخلاقيّة المهمّة عبر ترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربيّة، وكذلك ترجمة النتاجات المكتوبة باللغة العربيّة إلى اللغات الأخرى.

٩ـ فتح آفاق التعاون مع الجامعات والمراكز العلميّة والمؤسسات والشخصيّات المختصّة والمعنيّة بهذا الشأن؛ لترشيد العمل وتطويره، والإفادة من الكفاءات في هذا المجال.

١٠ـ إعداد كوادر متخصّصة بالأخلاق الإسلاميّة؛ من أساتذة وخطباء وباحثين.

١١ـ السعي لإعداد المناهج الدراسيّة في مجال الأخلاق الإسلاميّة، وتقديمها للمدارس الدينيّة، والمدارس والمعاهد والجامعات الأكاديميّة، والمراكز العلميّة الأخرى.

مشاريع المؤسسة

باشرت مؤسسة (الخُلق العظيم) بإنشاء جملة من المشاريع في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة، سواء المشاريع الطويلة الأمد والاستراتيجية أو غيرها، وقد صدر لها بعض الإصدارات في هذا الصدد، فيما سيرى بعضها النور قريباً بإذن الله تعالى، وهذه المشاريع هي:

١ـ موسوعة المواعظ الحَسَنة

ويعمل هذا المشروع على تدوين وتحقيق خطب الجمعة الدينيّة ذات المضامين الأخلاقيّة، التي ألقاها ممثّل المرجعية العليا في النجف الأشرف والمتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصحن الحسيني الشريف منذ عام (٢٠٠٣م)، حيث تعمل المؤسسة على إخراجها بصيغة كتاب، بكل ما يتطلّبه من تعديل وتحقيق واستخراجٍ للعناوين وغير ذلك.

٢ـ موسوعة الأخلاق الإسلاميّة الألفبائيّة

يهدف هذا المشروع إلى تأليف موسوعة ألفبائيّة أخلاقيّة، أو ما يُسمى بـ(دائرة المعارف الأخلاقيّة) تهتم بجمع المفاهيم الأخلاقية ـ والمقصود منها الصفات والأفعال الأخلاقيّة ـ مرتّبةً بحسب الترتيب الهجائي، وتقديم عرضٍ كاملٍ ومستوفٍ وموثّق لكلّ ما ورد حول تلك المفاهيم وفق الأسلوب المتّبع في تدوين الموسوعات ودوائر المعارف؛ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان حقيقة المفهوم الأخلاقي، ووصفه في القرآن والسنّة والتراث الأخلاقي، وبيان أقسامه وأسبابه ومناشئه وآثاره ونتائجه، والآليّة العمليّة للتحلّي به إن كان من الفضائل، والتحرّز عنه إن كان من الرذائل، وما إلى ذلك من المباحث المتعلّقة بكل موضوع؛ وهذا ما يجعل من هذا المشروع سابقةً مهمّةً في المصنّفات الأخلاقيّة الشيعيّة، ومرجعاً مهمّاً ومعتبراً في الأخلاق الإسلاميّة.

٣ـ ترجمة النتاجات الأخلاقيّة

تهتمّ المؤسسة بترجمة الكتب الأخلاقيّة المهمّة إلى اللغة العربيّة وبالعكس، ونشرها بعد المراجعة الدقيقة لها وتقويمها من قِبَل اللجنة العلميّة في المؤسسة، وقد تمّ العمل على ترجمة عدّة كتب.

٤ـ مشروع التراث الأخلاقي

يتضمّن تعريفاً مختصراً بالكتب الأخلاقيّة، وفق الترتيب الهجائي، مع فهرسة تفصيليّة للمباحث الأخلاقيّة في كلّ كتاب، وينتهي بفهرس موضوعي للمباحث الأخلاقيّة في جميع تلك الكتب؛ ليكون دليلاً نافعاً للمحققين والباحثين.

٥ـ تأليف سلسلة الفضائل والرذائل

تعمل المؤسسة على تأليف سلسلة كتيّبات حول جملة من الفضائل والرذائل الأخلاقيّة، يتمّ من خلالها مخاطبة الشريحة المتوسّطة من القرّاء، وتتناول المواضيع الأخلاقيّة المهمّة وذات الأولويّة على الساحة الاجتماعيّة، لمعالجة أهمّ المشاكل الأخلاقيّة، والحثّ على مكارم الأخلاق الإسلاميّة، والترويج لها.

٦ـ مشروع المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة

تعمل المؤسسة على إقامة سلسلة من المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقيّة، بحضور نخبة من الأساتذة والباحثين المختصّين بالجانب الأخلاقي، لبيان المواضيع الأخلاقيّة التخصصيّة المهمّة، وعرض أهم الآراء والنظريّات فيها، كفلسفة الأخلاق، وتاريخ علم الأخلاق، والمدارس الأخلاقيّة، والمقارنة بين علم الأخلاق والعلوم والحقول المعرفيّة الأخرى وما شابه ذلك؛ بغية إثراء الساحة الإنسانيّة والدينيّة بالفكر الأخلاقي الرصين الذي يعتمد بالدرجة الأساس على الأُسس والمبادئ الإسلاميّة.

٧ـ المشاريع الإعلاميّة

تعمل المؤسسة على إعداد جملة من البرامج الإعلاميّة المختلفة، سواء منها ما يُعدّ للبثّ التلفزيوني، أو ما يكون مناسباً للنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقاطع وملصقات تعليميّة وتثقيفيّة ذات مضامين أخلاقيّة.

٨ـ إقامة دورات في الأخلاق الإسلاميّة

من مشاريع المؤسسة الاستراتيجيّة هو إقامة دورات قصيرة في الأخلاق العمليّة لمختلف الفئات، يتمّ فيها تدريس التعاليم الأخلاقيّة الخاصّة بكل فئة من الفئات، كأخلاق المهنة، وأخلاق الأُسرة، وما شابه ذلك.

٩ ـ المكتبة الإلكترونيّة الأخلاقيّة

إذ قامت المؤسسة بعمليّة مسح ميداني في المكتبات والمواقع الإلكترونيّة وجمع النسخ المتوفّرة للكتب الأخلاقيّة والتربويّة؛ لتكون مصدراً مهمّاً للباحثين في هذا المجال، ليتم العمل على إعداد تطبيقٍ مختصٍّ بالمجال الأخلاقي.

هذا الكتاب

إن عنوان هذا الكتاب (الكذب مفتاح الخبائث) يفصح عن أهمية الموضوع الذي تناوله بحيث يجعله في طليعة الكتب التي تسعى المؤسسة لنشرها في الوسط الثقافي بمختلف شرائحه ومستوياته، إذ يعالج صفة

وخصلة كانت ولا زالت تهدد كل القيم الاخلاقية النبيلة وتقوض كل الأواصر الاجتماعية التي ينبغي أن تبتني على التعامل الخالي عن هذه الظاهرة الهدامة.

ومما يتميز به هذا الكتاب أيضاً هو مواكبة الدراسات الحديثة في الفلسفة والتربية والاجتماع وغيرها إذ يجد القارئ الكريم محاولات جادة للاستفادة من هذه النتاجات أحيانا، بينما تم تسليط الضوء على نقاط الخلل والضعف الذي لوحظ في تلك الدراسات في أحيان أخرى، كما يتضح ذلك من خلال تحديد مفهوم الكذب، وكذا عند الحديث عن ظاهرة الكذب عند الأطفال، وغير ذلك من الخصائص والمميزات التي توفر عليها هذا الكتاب.

ومن مميزاته أيضاً أنه قد جمع بين حق المختصين وحق غيرهم، فلم يطرح المواضيع والأفكار بشكل سطحي وخطابي، وإنما طرحها بشكل علمي تخصصي، ولكنه راعى الوضوح وسهولة التعبير وتنوعه حفظا لحق القارئ غير المختص.

ولم يكن الكتاب على وتيرة واحده فهناك القصة والمثل، وهناك الآية والرواية، وهناك الشعر أيضاً، مما جعله أكثر جاذبية، وأكثر مقبولية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله بجميع محامده كلّها، على جميع نعمه كلّها، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله أُولي الفضل والنُّهى.

لا شكّ في أنّ قيمة كلّ مجتمع تأتي من قيمة القوانين والمبادئ والأخلاق التي تحكمه، فكلّما كانت تلك القوانين والأخلاق سامية ونبيلة؛ كان المجتمع في رقيٍّ وتكامل، وكلّما كانت منحدرة وهابطة؛ كان المجتمع يسير نحو الهاوية، فتلكم القوانين وتلك الأخلاق هي المقياس الذي تُقاس به المجتمعات، وبه تتفاضل وتتمايز، ومن ثمّة كان تهذيبها ونشرها هدفاً تقف خلفه التشريعات الدينيّة، والقوانين الإلهيّة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وكما رُوي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «**إنّما بُعثت لأتمّم مكارمَ الأخلاق**»[2]، فالهدف الذي من أجله بعث الله الأنبياء، وأرسل الرسل، وأنزل إليهم الكتب السماويّة؛ إنّما هو تهذيب نفوس الناس وتزكيتها بالفضائل الأخلاقيّة التي ترتقي بالمجتمع سلّم الكمالات.

---

(١) الجمعة: آية٢.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق: ص٨. وأيضاً: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

والدور الذي تقوم به هذه القوانين والأخلاق إنّما هو صيانة المجتمع وحمايته من أن تحكمه الأهواء والميول والشهوات، التي هي بطبيعتها غير منضبطة عادة، فكم جرّت الأهواء على المجتمعات من ويلات ونكبات؟ وكم أُهلكت أُمم بسبب النزوات والشهوات؟ وكم وقعت من حروب ومعارك دامية لا لشيء، إلاّ لحالة غضب عابرة، أو شهوة آنيّة.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[١]، ومعنى الآية: أنّ الله سبحانه لا يُهلك أهل قرية إلاّ إذا عصوا وخرجوا عن الطاعة، فهو تعالى يأمرهم بالطاعة ﴿أَمَرۡنَا﴾، ولكنّهم يعصون الأمر ﴿فَفَسَقُواْ﴾، فعند ذلك يكونون قد استحقّوا العذاب والهلاك، أو يكون المعنى: أنّ الله سبحانه يأمرهم بالأمر التكويني؛ أي: يهيّئ لهم أسباب الفسق من النعم التي ينبغي أن تكون أسباباً للطّاعة والشّكر، ولكنّهم يفسقون بها، ويرتكبون ما يستحقّون به العقاب[٢]، فالفسق إذن: هو سبب الهلاك والدمار، والاستقامة والتقوى ومراعاة القوانين الشرعيّة هي سبب النموّ والعطاء، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[٣]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[٤].

---

(١) الإسراء: آية١٦.

(٢) أُنظر ـ على سبيل المثال في تفسير هذه الآية ـ: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٥٩.

(٣) الجن: آية١٦.

(٤) الأعراف: آية٩٦.

وتعمل الأخلاق على تقوية الإرادة وتنميتها؛ لأنّ الاخلاق تضع حدوداً وضوابط لممارسة الشهوات والتمتّع باللذائذ؛ الأمر الذي يدفع الإنسان إلى إشباعها عبر القنوات التي أتاحتها الشريعة، فتسمو عندئذٍ إرادة الإنسان فوق الشهوات والنزوات، وتكون أهواؤه طيّعة لعقله، ورغباته تابعة لإرادته، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾[1].

كما تعمل الأخلاق على تنمية الشعور بالآخرين، وتقوية العلاقات بين أفراد المجتمع؛ فهي تدعو الإنسان لبِرّ الوالدين وصلة أرحامه، واحترام جاره، ومواساة الفقراء، وحفظ لسانه عن الفحش والغيبة والنميمة والكذب، وتدعوه إلى الصدق وحفظ الأمانة وحقوق الآخرين، وكلّ ما من شأنه أن يكون مصداقاً لما رُوي عن النبيّ الأكرمﷺ : «**مثل المؤمنين ـ في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم ـ مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»[2]، وقولهﷺ: «**أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطَّئُون أكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون، وتُوطأ رحالهم**»[3].

فالتعاليم الأخلاقيّة الإسلاميّة هي التي حفظت تماسك المجتمع الإسلامي، وأنقذته من الانهيار والتفكّك، وفي مختلف الظروف التي مرّت به،

---

(١) الشمس: آية٧-١٠.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم : ج٨، ص٢٠. ونقل هذا الحديث ـ أيضاً ـ بصيغة تختلف قليلاً: المجلسي في بحار الأنوار، والقمّي في سفينة البحار.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٢.

والفتن التي عصفت به، خلافاً لما نراه في المجتمعات الأُخرى التي تعاني من التفكّك الأُسري والاجتماعي، فلا يعرف الابن أباه ، فضلاً عن بقيّة أقربائه، كما أنّ علاقته بالآخرين تعتمد ـ غالباً ـ على المصالح والمنافع، فعلى الرغم من التطوّر الهائل الذي تشهده بعض المجتمعات في ميدان العلم والتكنولوجيا، إلّا أنّها لا تزال تعاني من الأزمة الأخلاقيّة، التي قوّضت فيه نظام الأُسرة، وأثّرت بشكل كبير على طبيعة العلاقة بالآخر القريب أو البعيد، ولو وُفّق المجتمع الإسلامي لتطبيق أخلاقيّات الإسلام بحذافيرها؛ لأصبح مجتمعاً مثاليّاً بحقٍّ، لا تبلغه مدينة أفلاطون الفاضلة ولا غيرها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]. ثمّ إنّه من خلال الأخلاق يمكن تقييم الأشخاص، سلباً أو إيجاباً؛ فإنّها ـ أي: الأخلاق ـ تمثّل الميزان العدل الذي تُقيّم به الأفعال والسلوكيّات، فالذي يتّفق معها تماماً؛ فذلك هو الإنسان الحسن والخلوق الذي يجب احترامه وتقديره، وعلى خلافه هو السيّئ المحتقر، وما بين الطرفين مستويات مختلفة، تتفاوت بحسب قربها وبعدها من أحد الطرفين المذكورين.

والأخلاق النبيلة هي التي تصنع الأشخاص المثاليّين والنموذج القدوة الذي تحتذي الناس حذوه، وتقتفي أثره، وقد قدّمت لنا التجربة الدينيّة من

---

(١) الأعراف: آية٩٦.

خلال مسيرتها الطويلة نماذج مضيئة، هي الأفضل على الإطلاق، وهم الأنبياء والمرسلون والأوصياء والصالحون، وفي مقدّمتهم النبي الخاتمﷺ، الذي وصفه الخالق عزّ وجلّ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١]، الذي كان ـ بحقٍّ ـ قرآناً يمشي بين الناس، وهدياً يهتدون به، وكان لهذه الصفة ـ حسن الخُلق ـ الدور الأساس في نشر الإسلام بين أجلاف البادية وجهّالها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]، وهو القائل: «**إنّ الله أدّبني وأحسن أدبي**»[٣]، فاستطاعﷺ بخُلقه العظيم في فترة وجيزة أن يبني مجتمعاً متماسكاً تسوده روح الأُخوّة والمحبّة والأُلفة، بعد أن كان مجتمعاً مفكّكاً تسوده النعرات والخلافات القبليّة، وتتحكّم به الأهواء والشهوات، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٤].

فالأخلاق تصنع الإنسان القدوة الذي يعتمده الدين كوسيلة أساسيّة من وسائل التعليم والهداية؛ فالإسلام قد اعتمد في حركته ونشر مفاهيمه وإيصالها

---

(١) القلم: آية ٤.
(٢) آل عمران: آية ١٥٩.
(٣) السمعاني، عبد الكريم بن محمّد بن منصور، أدب الإملاء والاستملاء: ص٥.
(٤) آل عمران: آية ١٠٣.

إلى الناس على ركيزتين أساسيّتين إحداهما تنظيريّة؛ وتتمثّل بتعاليمه وأحكامه التي تضمّنها القرآن الكريم وأحاديث السنّة النبويّة، وثانيتهما القدوة الصالحة والنموذج المثالي الذي يجسّد تلك التعاليم عمليّاً؛ لتتعلّق به قلوب الناس وتطمح إليه أنظارهم، فينقادون إليه ويقتفون أثره ويتبعونه، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام هم النموذج الأرفع، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، وفي الحديث النبويّ المستفيض: «**مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق**»[2].

إذن؛ فالقدوة الصالحة هي نتاج الأخلاق الإسلاميّة، وثمرة تعاليم القرآن الكريم.

فيتّضح بهذا أنّ المشاكل التي يعاني منها المجتمع، مرجعها إلى ضعف الأخلاق فيه، وعدم رعاية الضوابط الشرعيّة التي جاءت لصلاح الإنسان وتكامله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[3]، فلو حفظ كلّ إنسان حقوق الآخرين الماديّة والمعنويّة، فلم يعتدِ على أملاكهم، ولم ينتقص من قدرهم؛ لعاش الناس بسلام ووئام، وقد رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام: «**المسلم مَن سلم الناس من يده**

---

(١) الأحزاب: آية٢١.
(٢) الجوهري، أحمد بن عبيد الله بن عيّاش، مقتضب الأثر: ص ١٥.
(٣) الحديد: آية٢٥.

ولسانه، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»[١]، ولكن البعض ـ مع الأسف ـ لم يراعِ ما يجب عليه تجاه الآخرين، إمّا لجهله بحقوقهم، أو انسياقاً وراء نزواته، فتراه يعتدي على الأملاك، ويأكل أموال الناس بغير حق، وينال من كرامتهم؛ فأدّى ذلك إلى نشوب الصراعات والاختلافات بين أفراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات المتعدّدة، ولا نجاة لنا منها إلاّ بالرجوع إلى هدي القرآن والسنّة؛ للاطّلاع على منهج الإسلام الأخلاقي، ومنظومته التربويّة، التي ستقودنا ـ بلا شكٍّ ـ إلى التكامل النفسيّ والفكريّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، الذي نحن بأمسّ الحاجة إليه، في خضمّ الفوضى الأخلاقيّة العارمة التي تجتاح العالم بسبب الاستخدام السيّئ لمنجزات التطوّر العلمي والتقني الهائل في مختلف المجالات، لا سيّما في مجال التواصل الاجتماعيّ عبر شبكة الإنترنت، وأجهزة الاتصال النقّالة (الموبايل).

المبادئ الأخلاقيّة في القرآن الكريم

هناك ثلاثة مبادئ موضوعيّة اعتمدها القرآن في بناء منظومته الأخلاقيّة؛ وهي[٢]:

المبدأ الأوّل: اختيار الإنسان

إنّ بناء الذات وتزكية النفس وتهذيب الأخلاق أمور وأحوال تتوقّف على إيمان الإنسان بقدرته على التكامل؛ وذلك موقوف على أنّه مختار مريد،

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، معاني الأخبار: ص٢٣٩.

(٢) اُنظر: مصباح اليزدي، محمّد تقي، الأخلاق في القرآن الكريم: ج١، ص١٧، وما بعدها.

فلو اعتقد أنّه مجبر، لما كان هناك ثمرة لسعيه في الوصول إلى الكمال، ولا تأثير للجهد الذي يبذله في تحقيق ذلك.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذا المبدأ في العديد من آياته، حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، فإنّه قد أسند الفلاح إلى الإنسان فهو الذي يقوم بعمليّة التزكية، كما أسند الخيبة إليه أيضاً؛ لأنّه هو من يقوم بذلك، ومعنى ذلك أنّ التزكية وضدّها من صنع الإنسان واختياره وإرادته، وفي آية أُخرى نقرأ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، فالله سبحانه وتعالى هيّأ للإنسان أسباب السعادة، ووفّر له موجبات الهداية، وترك له الخيار بين الشكر والجحود.

وممّا يجدر الالتفات إليه أن فكرة الجبر ـ والتي تعني أنّ جميع أفعال الإنسان الحسنة والسيّئة واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وأن لا دخل للإنسان فيها [3] ـ تتنافى مع فكرة بعث الأنبياء وإرسالهم، وتتناقض مع التشريعات الإلهيّة والقوانين السماويّة؛ إذ لا معنى لإرسال الرسل، وبعث الأنبياء، وإنزال الكتب إذا كان الإنسان مجبراً لا يتمكّن من تغيير نفسه، فإنّه ـ وهو في هذه الحال ـ لا يستطيع أن يفعل ما تأمره الشريعة بفعله، كما لا يستطيع أن

---

(١) الشمس: آية٧-١٠.
(٢) الإنسان: آية٣.
(٣) أُنظر: الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام: ص١٥١، وما بعدها.

يترك ما نهته عن فعله، ولا معنى حينئذٍ لفكرة الواجب والحرام؛ إذ كيف تُوجب عليه الشريعة عملاً معيّناً، وتعاقبه على تركه، وهو مجبر على الترك، فلا يستطيع الامتثال؟! أو تنهاه عن فعلٍ لا يستطيع تركه؟

ومن لطيف ما نُقل في هذا المجال المحاورة التي جرت بين أبي حنيفة والإمام موسى بن جعفر عليه السلام؛ وهي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: يا غلام ممّن المعصية؟ قال عليه السلام: لا تخلو من ثلاث: إمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ، وليست منه، فلا ينبغي للكريم أن يعذّب عبده بما لا يكتسبه، وإمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ ومن العبد، وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد وهي منه، فإن عاقبه الله؛ فبذنبه، وإن عفا عنه؛ فبكرمه وجوده**»[1].

المبدأ الثاني: غائيّة الإنسان

الإنسان المختار ينتخب غاية ثمّ يباشر السعي نحوها، وبحسب هذه الغاية يتمّ تحديد السلوك المؤدّي إليها، فمَن كانت غايته السفر إلى كربلاء يلزمه سلوك الطريق المؤدّية إليها، وليس له سلوك طريق البصرة مثلاً؛ لأنّها لا تؤدّي به إلى الغاية؛ فالغاية هي التي تحدّد السلوك والفعل.

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، التوحيد: ص٩٦.

ولكنّ الإنسان ـ أحياناً ـ قد يلتبس عليه الأمر، وتختلط الأوراق فلا يهتدي إلى الطريق الصحيح، ويصير الأمر عنده ضبابيّاً؛ فلا يصل إلى الغاية التي يريدها، ولا يبلغ الوجهة التي يقصدها، ومن هنا؛ فهو يحتاج إلى مَن يرشده إلى الطريق الصحيح، ويُعينه على الوصول إلى الغاية المنشودة، ويضع قدمه في المسار السليم.

ولو طرحنا السؤال التالي: ما هي الغاية التي يريدها الإنسان؟

فمن البديهي يكون الجواب: إنّ غاية ما يسعى إليه هي السعادة والفوز والفلاح والصلاح، ونحو ذلك من المفردات التي تؤدّي إلى معنى واحد؛ فغاية كلّ إنسان هي السعادة والفوز، وهل بعد هذه الغاية غاية؟ وقد أكّد القرآن الكريم على هذا المعنى في العديد من آياته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3]. ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[4]. ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن

---

(١) المائدة: آية٣٥.
(٢) المائدة: آية٩٠.
(٣) الحج: آية٧٧.
(٤) النساء: آية١٣.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١). ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(٢).

فالآيات الثلاث الأُوَل تجعل الغاية هي الفلاح، بينما الآيات الثلاث الأخيرة تجعل الغاية هي الفوز، ولو تأمّلنا في المفردتين لوجدناهما بمعنىً واحد، فالفلاح هو الفوز، والفوز هو الفلاح، وهناك آيات أُخرى تجعل الغاية هي الفلاح والفوز وأمثالهما، من المفردات القريبة إليهما معنىً ومضموناً.

ولكي لا يضلّ الإنسان الطريق المؤدّية إلى هذه الغاية، ولا تحيد به السُّبل يميناً وشمالاً؛ رسمت له الشريعة طريقها، وأوضحت له علائمها وحدودها،؛ وذلك من خلال القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٣)، فيمكن تلخيص عمل الرسول ﷺ في أُمور ثلاثة:

١ـ تلاوة الكتاب.

٢ـ تزكية النفس.

٣ـ تعليم الكتاب والحكمة.

---

(١) المائدة: آية١١٩.

(٢) آل عمران: آية١٨٥.

(٣) الجمعة: آية٢.

وإذا ضممنا إلى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1]؛ يتّضح أنّ غاية الإنسان ـ وهي الفوز ـ لا تتحقّق إلاّ بطاعة الله تعالى ورسوله.

إذن؛ فإنّ غاية الإنسان هي الفوز، وبلوغها يتوقّف على سلوك الطريق التي رسمتها شريعة سيّد المرسلين.

المبدأ الثالث: دور الأعمال في بلوغ الغاية

ولا شكّ في أنّ للأعمال التي يقوم بها الإنسان تأثيراً في بلوغ الغاية سلباً أو إيجاباً، فقد تُقرّبه منها وقد تُبعده عنها، فمآل الأعمال إلى الإنسان نفسه، فهو الذي ينتفع بها أو يتضرّر منها، وقد يكون لها تأثير في غيره من الناس أيضاً، والمهمّ في ما نريد التنويه إليه هو تأثيرها على الإنسان نفسه، فكلّ عمل يصدر منه له قيمة ودرجة،؛ إمّا أن ترتقي به نحو الكمال ، أو تهبط به نحو الحضيض والتسافل.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ * وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[3]،

---

(١) الأحزاب: آية٧١.
(٢) الزلزلة: آية٧-٨.
(٣) النساء: آية١٢٣.

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١).

فالقرآن الكريم يؤكّد على هذه الحقيقة، وهي (قيمة الفعل) الذي يقوم به الإنسان، وأنّ نفعه أو ضرره يعود إليه، وأنّ به يبلغ الغاية أو يقصر عنها، وهناك آيات كريمة تجمع هذا المعنى بشكل دقيق، وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾(٢)، وهي تشير إلى ما يلي:

١ـ إنّ نتائج أفعال الإنسان تعود إليه، وهو الذي ينتفع بها أو يتضرّر.

٢ـ إنّ الانسان لا يحمل حمل الآخرين وأوزارهم، بل كلٌّ يتحمّل ما تقدّم يده من أعمال.

٣ـ لا يحصل الإنسان إلاّ على مقدار عمله وجهده، وأنّ هذا العمل هو رصيده في الآخرة، وبه يتحدّد مصيره.

وإذا علم الإنسان أنّ نتائج أعماله ستعود بالنفع عليه ـ وأنّها هي التي ستبلغ به الغاية ـ فإنّ عقله سيلزمه بتهذيب أعماله وتزكيتها، واختيار الصالح منها، واجتناب كلّ فعل يؤدّي به إلى السقوط والانحطاط.

إذن؛ مبادئ الأخلاق ثلاثة: أوّلها: اختيار الإنسان، وثانيها: غايته، وثالثها: دور أعماله في نيل الغاية.

---

(١) غافر: آية٤٠.

(٢) النجم: آية٣٨ – ٤١.

سلسلة الفضائل والرذائل

وبما أنّ الشريعة قد رسمت للإنسان الطريق المؤدّية إلى الكمال والرقي، وأوضحت له ما يضرّه وما ينفعه في هذه المسيرة المباركة، وحدّدت له المعوّقات والموانع التي تعترض طريق الإنسان في هذا المجال، وحيث لا يتسنّى لكلّ شخصٍ أن يراجع نصوص الشريعة ليضع يده على تلك الحدود بيسرٍ وسهولة؛ كان من الضروري أن نضع بين يديّ القارئ الكريم سلسلة أخلاقيّة، تُعنى بعرض الفضائل الأخلاقيّة ورذائلها؛ كي تُساعده في سلوكه، وتُعينه على مسيرته نحو الكمال.

فهذه السلسلة ـ إذن ـ مشروعٌ عمليٌّ لعرض قسم كبير من الأخلاق العمليّة التي نصّ عليها القرآن الكريم، وأوضحها النبيُّ الأكرم وأهل بيته عليهم السلام قولاً وعملاً، وهي أيضاً ممّا أجمع على حسنها أو قبحها العقلاء بحسب فطرتهم السليمة، علّها تساهم ـ ولو بشكلٍ جزئيٍّ ـ في معالجة الأزمة الأخلاقيّة المستشرية في المجتمع الإنسانيّ منذ عقود من الزمن، لا سيّما في مثل هذه الأيّام، التي يشهد المجتمع فيها تحلّلاً خُلقيّاً لافتاً، مع ضياع للمفاهيم الأخلاقيّة النبيلة؛ مثل العفّة والحياء، والغيرة والمروءة، والأمانة والصدق، ونحوها، وإذا ضممنا إلى ذلك وسائل الإعلام المروّجة للفساد، والداعمة له، والتي تطوّرت كثيراً في أيّامنا هذه، حيث الفضائيات والشبكة العنكبوتيّة (الإنترنت) التي لا يستغني عنها أحد، حتّى الأطفال،؛ يتّضح لنا حجم المشكلة، التي نحن بصدد معالجتها، وخطورة المرحلة التي

تتطلّب جهوداً استثنائيّة، وعملاً دؤوباً من كلّ المعنيّين بهذا الشأن، انطلاقاً من الأُسرة وانتهاءً بكلّ شخصيّة أو هيأة اجتماعيّة يمكن أن يكون لها تأثير ودور في هذا المجال.

الدراسات السابقة:

لقد أُلّفت في هذا المجال ـ أي: عرض الفضائل والرذائل ـ الكثير من الكتب الأخلاقيّة، مثل كتاب (المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء) لمؤلّفه المحدّث المولى محسن الكاشاني (قُدّس سرّه)، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، ويقع في ثمانية أجزاء؛ وهو من الكتب القيّمة والنفيسة، وكتاب (جامع السعادات) لمؤلّفه المولى محمّد مهدي النراقي (قُدّس سرّه)، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري؛ وهو كتاب يقع في ثلاثة أجزاء، ولا يقلّ شأناً عن سابقه، وهناك غيرهما من الكتب والمؤلَّفات، ويمتاز هذان الكتابان بالسعة والشمول والاستيعاب، وهما بحقٍّ موسوعتان أخلاقيّتان كبيرتان، وقد بذل العلمان فيهما جهوداً محمودة، ولكن مع ذلك فلا زالت الحاجة ماسّة لتأليف سلسلة تهتم بعرض الفضائل والرذائل خاصّة، تُوضع بين أيدي القرّاء الأعزّاء؛ وذلك للمبرّرات التالية:

١ـ قد لا يتيسّر لكلّ أحدٍ شراء الموسوعات الكبيرة؛ لأنّها ـ عادة ـ مكلفة؛ وذلك ممّا يقلّل من فرص انتشارها ووصولها لأكبر قدر ممكن من الناس.

٢ـ إنّ غالب الناس لا يتفاعل مع الموسوعات الكبيرة، مهما كان مضمونها ومستواها، بينما نجدهم يتفاعلون بشكل إيجابي مع الكتب الصغيرة

أو على الأقلّ المتوسّطة، التي لا تستغرق قراءتها وقتاً طويلاً، أو يعثرون بسرعة على ما يرغبون بمطالعته، كما أنّها سهلة التحميل فيما لو تمّ عرضها من خلال شبكة الإنترنت، ممّا يزيد من فُرص انتشارها وتداولها.

٣ـ اللغة التي تمّ بها كتابة الموسوعتين المتقدّمتين ونحوهما ليست لغة سهلة، قد يصعب على القارئ فهمها وهضمها بشكل جيّد؛ نظراً لما تشتملان عليه من مصطلحات ومفردات لا يعرفها إلاّ أهل الفن والاختصاص؛ لذا كانت الحاجة مُلحّة لتغيير أُسلوب الكتابة بما يتناسب مع فهم القارئ الكريم؛ وهذا ما سنحاول تداركه في هذه السلسلة.

٤ـ لُوحظ في هاتين الموسوعتين وغيرهما الاكتفاء غالباً بعرض النصوص والشواهد دون الاهتمام بالجانب التحليلي والتوضيحي لها، ونحن نعلم أنّ غالب النصوص هي حمّالة أوجهٍ واحتمالات متعدّدة، قد لا يُدركها القارئ من دون أن نأخذ بيده ونضعها على تلك المعاني والمضامين .

وبملاحظة هذه المبرّرات؛ تتّضح ملامح العمل الذي سنقوم به في هذه السلسلة؛ والذي يُمكن تلخيصه بما يلي:

١ـ عرض الفضائل والرذائل على شكل كُتيّبات صغيرة أو متوسّطة، نتناول في الكُتيّب الواحد خصلة واحدة مثل؛ (الكذب) أو (الصدق)، أو خصلتين، مثل (الكذب والصدق)، أو أكثر، مثل (الشجاعة والجبن والتهوّر) أو (الغيبة والبهتان والنميمة)؛ وذلك يختلف بحسب وُفرة المادة وقلتها، فمثلاً حيث إنّ مادّتي الكذب والصدق كثيرة ومتوفّرة؛ كان المناسب جعل كلّ منهما

في كُتيّب مستقل، مراعاةً لحجم الكتاب أن لا يخرج عن الحدّ المتوسّط؛ ليسهل على القارئ تحصيله، ولا يملّ من قراءته .

ويجدر الالتفات إلى أنّنا قد لا نلتزم بعرض الفضيلة وما هو بالضدّ منها، فلربّما كانت الفضائل أكثر من الرذائل، ولربّما العكس، ولربّما كان للفضيلة الواحدة أكثر من ضدٍّ، وإنّما نعرض الفضيلة أو الرذيلة، فإن كان لها ضدٌّ معروف واضح؛ نعرضه ـ أيضاً ـ معها في نفس الكُتيّب أو في كُتيّب مستقل، وإن لم يكن لها ضدّ واضح معروف؛ ننتقل إلى عنوان آخر من عناوين السلسلة .

٢ـ هناك دراسات نفسيّة واجتماعيّة حديثة تنفع كثيراً في هذا المجال؛ لأنّها تعتمد على الملاحظة والاختبار، وهما عاملان مهمّان في رصد الحالات، ودراسة الظروف، سنحاول الاستفادة منها وقت الحاجة، ممّا يُعطي لهذه السلسلة ميزة أُخرى؛ وهي الانفتاح على العلوم الحديثة والاستفادة منها في المجال الأخلاقي والتربوي.

٣ـ الأُسلوب المتّبع سيكون علمياً قدر الإمكان، يعتمد البرهان والأدلّة النقليّة والعقليّة، ولكنّ هذا لا يمنع ـ أحياناً ـ أن ننقل قصّة نافعة أو قضيّة جانبيّة مناسبة، أو حتى شعراً؛ طالما أنّ الهدف من ذلك هو إقناع القارئ وإيصال الفكرة إليه مصحوبة بدليلها وبرهانها، على أن يكون التعبير واضحاً، بعيداً عن التعقيد والغموض، مستعينين بالمفردات السهلة قدر المستطاع .

٤ـ إنّ الطبقة المستهدفة بالدرجة الأساس هي طبقة الشباب، لا سيّما المثقّفين من الدارسين وأصحاب الشهادات، وبالأخصّ الكوادر التربوية التي

نأمل فيها كلّ خير، في الحاضر والمستقبل؛ فهم آباء المستقبل، وأساتذة الأجيال، وقادة الوعي والبناء الصالح.

ولكنّ هذا لا يمنع أن يستفيد منها أصحاب الاختصاص، وأهل الفضيلة؛ لما فيها من مضامين علميّة، ومناقشات تخصّصيّة، ورؤى وأفكار نافعة.

الكتاب الذي بين يديك

وسيكون هذا الكتاب ـ والذي يحمل عنوان الكذب مفتاح الخبائث ـ أوّل الكتب التي ستصدر عن هذه السلسلة، ولعلّ القارئ يتساءل: لماذا كانت البداية مع الرذائل، ولم تكن مع الفضائل؟ ولماذا كانت البداية مع الكذب من بين باقي الرذائل؟

أمّا لماذا كانت البداية مع الرذائل؛ فلأنّ العمل الأخلاقي والتربوي يتطلّب أوّلاً تنظيف النفوس من الرذائل، وتنقيتها من المساوئ والأدران؛ كي تُهيّأ لكسب الفضائل، ونيل الكمالات الخُلقيّة، مثل الأرض التي يُراد زراعتها؛ فإنّ الأمر يتطلّب أوّلاً إزالة النباتات الضارّة، والقضاء على الأوبئة، وتهيئتها للزراعة باستعمال الأسمدة وإزالة الأملاح، وكل ما يمنع من صلاحيّتها للإنبات بشكل جيّد ومثمر، ولعلّه لهذا قدّم القرآن الكريم التزكية على التعليم؛ حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١]، فتعليم الناس الفضائل يتوقّف على تهذيب نفوسهم وتهيئتها أوّلاً.

إذن؛ فالعمل الأخلاقي يتطلّب أوّلاً دراسة الخصلة السيّئة، ومعرفة مضارّها وسلبيّاتها، ومحاولة التخلّص منها، ثم بعد ذلك الاطّلاع على ما يقابلها من خصلة حسنة، ومحاولة الاتّصاف بها.

وأمّا لماذا كانت الانطلاقة من الكذب؛ فلأنّه مفتاح الخبائث والشرور، على حدّ تعبير الرواية المرويّة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «**جُعلت الخبائث في بيت، وجُعل مفتاحُهُ الكذب**»[٢]، كما نجد تعبيراً آخر ورد في رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرٌّ من الشراب**»[٣]، وسنتعرّف لاحقاً ـ إن شاء الله ـ على فلسفة ذلك وتحليله، وكيف أنّ الكذب هو مفتاح الخبائث، وأنّه أكثر شرّاً من الشراب (الخمر).

وجاء في رواية أخرى أنّ الابتعاد عن الكذب سبب لاجتماع خير الدنيا والآخرة؛ فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلب منه أن يعلّمه ما ينال به خير الدنيا والآخرة، ولا يطوِّل عليه، فقال له رسول الله: «**لا تكذب**»[٤].

---

(١) آل عمران: آية١٦٤.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٣.
(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي :ج٢، ص٣٣٩.
(٤) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣٥٩.

فإذا كان الكذب هو مفتاح الشرور والخبائث، وكان تركه مدعاة لاجتماع خير الدنيا والآخرة، فمن الجدير بنا أن نتعرّف عليه أوّلاً؛ لنقف على مساوئه وآثاره، وأضراره الفرديّة والاجتماعيّة، وتداعياته النفسيّة والسلوكيّة، وكيف لنا أن نتخلّص منه ونجتنبه؟ وما هي الأسباب والدوافع التي تدفعنا للكذب أحياناً؟ وهل هناك حالات يُباح فيها الكذب؟ إلى غير ذلك من المواضيع التي سنتناولها في مطاوي هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الفصل الأوّل : في معنى الكذب

الفصل الأوّل : في معنى الكذب

يجدر بنا في مقام تحديد مفهوم الكذب أن نطالع ما ذكره أهل اللغة في معناه واستعمالاته، ثمّ نطالع بعد ذلك ما ذكره أهل الاختصاص في هذا المجال، مع تقييم الآراء وتقويمها إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ كي نخلص في نهاية المطاف إلى حدود معناه، أو ماذا يُراد من معناه في الاستعمالات الأدبيّة والعرفيّة، يضاف إلى ذلك أنّ هناك مفردات إمّا أن تكون مرادفة لمعنى الكذب، أو هي قريبة من معناه، ممّا يحتاج أن نقف عندها؛ لنلاحظ مدى انطباقها أو تباينها.

١ـ الكذب لغة:

يتّفق أهل اللغة على أنّ الكذب هو ما يقابل الصدق، وأنّه كما يتّصف به الكلام يتّصف به الفعل أيضاً، فإذا قال شخص: أنا جائع، ولم يكن جائعاً في الحقيقة لنُعِتَ كلامه بالكذب، واتّصف هو أيضاً بالكذب، ولو لم يقل: أنا جائع. ولكنّه تظاهر من خلال أفعاله على أنّه جائع؛ فلا ريب في أنَّه يُعدُّ آنذاك كاذباً أيضاً، بل ذكروا أنّ الاتصاف بالكذب لا ينحصر بقول الإنسان وفعله وإنّما هو يشمل الجمادات وغيرها، كالبرق، والظن، والرجاء مثلاً، وذكروا أيضاً أنّ الكذب قد يأتي بمعنى وَجَبَ، فيقال كذب عليكم الحج؛ أي: وجب.

جاء في لسان العرب: «**الكَذِبُ: نقيضُ الصِّدْقِ؛ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً وكِذْباً وكِذْبةً وكَذِبةً: هاتان عن اللحياني، وكِذاباً وكِذَّاباً... ورجل كاذِبٌ، وكَذَّابٌ، وتِكْذابٌ، وكَذُوبٌ، وكَذُوبةٌ، وكُذَبَةٌ مثال هُمَزة، وكَذْبانٌ، وكَيْذَبانٌ، وكَيْذُبانٌ، ومَكْذَبانٌ، ومَكْذَبانة، وكُذُبْذُبانٌ، وكُذُبْذُبٌ، وكُذُّبْذُبٌ ... والأُنثى: كاذِبةٌ وكَذَّابة وكَذُوبٌ، والكُذَّب: جمع كاذبٍ ، مثل راكِعٍ ورُكَّعٍ... يقال للناقة التي يَضْرِبُها الفَحْلُ: فتَشُولُ، ثم تَرْجِعُ حائلاً: مُكَذَّبٌ وكاذِبٌ، وقد كَذَّبَتْ وكَذَبَتْ... يقال للرجل يُصاحُ به وهو ساكتٌ يُري أَنه نائم: قد أَكْذَب، وهو الإِكْذابُ ...**

وقد يُستعمل الكَذِبُ في غير الإِنسان، قالوا: كَذَبَ البَرْقُ، والحُلُمُ، والظَّنُّ، والرَّجاءُ، والطَّمَعُ؛ وكَذَبَتِ العَيْنُ: خانها حِسُّها. وكذَبَ الرأْيُ: تَوهَّمَ الأَمرَ بخلافِ ما هو به. وكَذَبَتْه نَفْسُه: مَنَّتْه بغير الحق. والكَذوبُ: النَّفْسُ... المَكْذُوبة من النساءِ الضَّعيفة... يقال: صَدَقَ القِتالَ إِذا بَذَلَ فيه الجِدَّ. وكَذَّبَ إِذا جَبُن؛ وحَمْلةٌ كاذِبةٌ، كما قالوا في ضِدِّها: صادقةٌ، وهي المَصْدوقةُ والمَكْذُوبةُ في الحَمْلة... وقد استعملت العربُ الكذِبَ في موضع الخطأ... وكَذَبَ عليكم الحجُّ، والحجَّ؛ مَنْ رَفَعَ، جَعَلَ كَذَبَ بمعنى وَجَبَ، ومَن نَصَبَ، فعَلى الإِغراءِ»[1].

---

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: مادّة (كذب).

هذا خلاصة ما ذكره ابن منظور في لسان العرب، ولم يخرج كلام غيره من اللغويّين عنه[١]؛ والذي يمكن أن يُستفاد منه هو التالي:

١ـ إنّ الكذب نقيض الصدق؛ فالخبر الصادر من المُخبر إمّا أن يكون صدقاً وإمّا أن يكون كذباً، فلا يمكن أن يكون نفس الخبر صدقاً وكذباً في آنٍ واحد، كما أنّه لا يوجد فرض ثالث؛ أي: ليس صدقاً وليس كذباً، فلا وجود لخبر لا يتّصف بالصدق ولا بالكذب، بل هو إمّا صادق وإمّا كاذب.

٢ـ يُطلق الكذب على غير القول؛ من الفعل والإشارة ونحو ذلك، فقد ذكر أنّ الرجل الذي يُصاح به، وهو ساكت، لا يُجيب، ويظهر نفسه للمنادي على أنّه نائم، مع أنّه مستيقظ، يسمع النداء، يُقال في حقّه: قد أكذب، وهو الإكذاب، ومن الواضح أنّه ليس من القول، وإنّما هو من الفعل، وعلى هذا الأساس فإنّ الكذب تارة يكون وصفاً للقول وأُخرى وصفاً للفعل، وقدّ صرّح الراغب الإصفهاني بعدم اختصاص الكذب بالقول، وأنه ينطبق على الفعل أيضاً[٢].

٣ـ يُطلق الكذب على غير كلام الإنسان وفعله، فيُقال: كذب البرق، والمقصود إذا لم تُمطر، ويُقال: كذب الظن، إذا خالف الحقيقة، ويُقال: كذب الرجاء، إذا لم يتحقّق المرجوّ، ويُقال: كذبت العين، إذا خانها حِسّها،

---

(١)أُنظر ـ على سبيل المثال ـ: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: مادّة (ك ذ ب). الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص١٢٢ وما بعدها.

(٢)الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٧٠٤.

ويُطلق أيضاً على النفس، فيُقال: كذبته نفسه، إذا خدعته بالأماني، ويُطلق أيضاً على الخطأ، فيُقال: رأيٌ كاذب؛ أي: خطأ، وهكذا .

٤ـ يُستعمل الكذب بمعنى الوجوب، فيُقال: كذبك الحجّ؛ أي: وجب عليك الحج، أو عليك بالحج.

هذه هي المعاني والاستعمالات المتحصّلة من كلمات اللغويّين؛ وهي لم تعرّف الكذب بشكل واضح، وإنّما ذكرت أنّه نقيض الصدق، أمّا ما هي حقيقته؟ هل هو مخالفة الواقع أو غير ذلك، ممّا سيأتي ذكره، فلم تذكر شيئاً من ذلك.

نعم، في مجمع البحرين قد تعرّض لتعريف الكذب حيث قال: الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو فيه، سواء العمد والخطأ؛ إذ لا واسطة بين الصدق والكذب على المشهور، والكذب هو الانصراف عن الحق، وكذلك الإفك[1].

والذي يبدو أنّ هذا التعريف ليس تعريفاً لغويّاً للكذب، وإنّما هو تعريف اصطلاحي، ذكره المناطقة والفقهاء، وسيأتي ذكره في تعريف الكذب اصطلاحاً، فما ذكره الطريحي هو تأثّر بكلام علماء المنطق والفقه.

والمتحصّل من البحث اللغوي أنّ الكذب نقيض الصدق، وأنّه لا يختصّ بالقول، بل يشمل الفعل وغير الفعل؛ نظراً لكثرة استعماله في غير القول.

---

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص١٥٧.

٢ـ الكذب اصطلاحاً:

المقصود من الاصطلاح: تعريف الكذب عند علماء الأخلاق؛ لأنّ البحث أخلاقي كما هو واضح، ولكن حيث إنّ البحث الأخلاقي يشترك مع البحث الفقهي في أنّهما يهدفان إلى حثّ الإنسان على ما ينبغي له أن يفعله من الطاعات والمكارم، وما ينبغي له أن يجتنبه من المعاصي والموبقات؛ نجد أنّ الفقهاء قد بحثوا في المفردات الأخلاقيّة كثيراً، مثل الغيبة والغناء والكذب وغيرها، وامتازوا على علماء الأخلاق في اهتمامهم بتحديد المفهوم بشكل دقيق؛ لما يترتّب عليه من أحكام ونتائج فقهيّة؛ ولذا فإنّنا سنستعين بما ذكره الفقهاء من تعريف للكذب؛ لأنّه يُعطي تحديداً دقيقاً للمفهوم.

وبعد مراجعة كلمات الفقهاء؛ وجدنا أنّ لهم ثلاثة تعريفات للكذب، وهي:

التعريف الأول: وهو ما تبنّاه المشهور من العلماء: «**هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، عمداً كان، أو سهواً، أو غلطاً**»[1]. ولكن من الطبيعي أنّ الإثم مختصٌّ بصورة العمد[2]، والمقصود: أنّ المتكلّم إذا قال: السماء تمطر، فإنّه قد أخبر عن شيء، فإذا كانت السماء ممطرة بالفعل؛ كان صادقاً في إخباره، وأمّا إذا لم تكن ممطرة؛ كان كاذباً، سواء كان متعمّداً في قلب الحقيقة،

---

(١) ذهب إلى هذا التعريف جُلّ علماء السنّة والشيعة. اُنظر: النووي، محيي الدين بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجّاج: ج١، ص٩٤. والطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٤، ص٩٩.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، الأذكار النووية: ص٣٧٨. وأيضاً: المازندراني، المولى محمّد صالح، شرح أصول الكافي: ج٩، ص٣٩٧.

أو كان مخطئاً ومشتبهاً؛ ففي كلتا الحالتين هو كاذب، فيقال له: أنت كاذب، أو خبرك كاذب، ولكنّ الفرق بين الحالتين فقط من جهة الإثم، فإنّ الإثم يختصّ بحالة العمد دون الخطأ والاشتباه.

التعريف الثاني: وهو رأي جماعة من العلماء إذ قالوا: «**إنّ الصدق مطابقة الخبر لاعتقاد المتكلِّم، سواء طابق الخارج أو لا، والكذب عدم مطابقته له**»[1]، فلو كان المتكلّم في المثال السابق يعتقد خطأً أنّ السماء تمطر، لم يكن كاذباً، بل كان صادقاً، وإن خالف كلامه الواقع؛ لأنّ الكذب هو ما لو كان الإخبار مخالفاً لما يعتقده المُخبر، لا للواقع الخارجي.

التعريف الثالث: وهو رأي علماء آخرين: «**أنّ الصدق مطابقة الخبر للواقع ولاعتقاد المتكلِّم معاً، والكذب عدم مطابقته لهما معاً**»[2]، فلو طابق الخبر الواقع ولكنّه لم يطابق اعتقاد المتكلِّم لم يسمَّ صدقاً، كما لا يُطلق عليه بأنّه كذب؛ لأنّه طابق واحداً منهما فقط، والمطلوب أن يطابق اعتقاد المُخبر والواقع الخارجي معاً، ففي مثالنا السابق؛ مثال: (السماء ممطرة) لو كان المُخبر يعتقد أنّ السماء تُمطر وكانت تُمطر في الخارج حقيقة وواقعاً كان صادقاً في خبره، وأمّا لو كان يعتقد أنّها تُمطر ولكنّها لم تكن ممطرة في الحقيقة أو كانت تُمطر ولكنّه لا يعتقد ذلك، ومع ذلك أخبر أنّها تُمطر؛ لكان كاذباً في خبره.

---

(١) الزركشي، محمّد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أُصول الفقه: ج٣، ص٢٨٩.
(٢) المصدر السابق.

وقد استدلّ كلٌّ فريق على رأيه بأدلّة، لا يهمّنا هنا التعرّض لها؛ لأنّ الهدف هو التعرّف على معنى الكذب وحقيقته، دون محاكمة الأقوال وأدلّتها، ولكن ينبغي أن نلتفت ـ هنا ـ إلى أمرٍ مهمٍّ وهو أنّ الكذب تارة يُلحظ بما هو صفة للخبر، فيُقال: هذا خبر كاذب؛ لأنّه على خلاف الحقيقة، وأُخرى يُلحظ بما هو صفة للمُخبر، فيُقال: المتحدّث كاذب، أو كذّاب، وهنا قد نتوقّف عن وصف المتحدث بالكذب فيما لو كان مخطئاً أو مشتبهاً أو ناسياً؛ أي: لم يكن عن علم وعمد، فالراوي الثقة إذا ما أخطأ في نقل الحديث لا نصفه بالكاذب، والفقيه إذا اشتبه في نقل كلام أحد الفقهاء أو بعض الفتاوى لا نقول عنه: كاذب؛ وإنّما نُطلق عليه أنّه مخطئ، بينما بإمكاننا ـ ومن دون أيّ تحفّظ ـ أن نصف الخبر المخالف للواقع بأنّه كذب حتّى لو كان صاحبه ثقة.

والذي نُريد قوله: هناك فرق بين أن نُطلق وصف الكذب على الخبر، وبين أن نُطلقه على المخبر؛ ففي نفس الخبر نستطيع أن نصفه بالكذب لمجرّد مخالفته للواقع، حتّى لو صدر من إنسان ثقة لا يكذب؛ بينما المخبر لا نستطيع أن نصفه بالكذب بمجرّد مخالفة خبره للواقع من دون تدخّل عامل العمد والعلم والقصد، ونحو ذلك من الصفات النفسيّة، فإنّنا لا نعبّر عنه بأنّه كاذب؛ وإنّما نقول: إنه مشتبه أو متوهّم أو مخطئ؛ وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول: إنّ الكذب بملاحظة الخبر نفسه ليس له حالة ثالثة، فهو إمّا صادق وإمّا كاذب؛ إذ لا توجد حالة ثالثة غير حالتي الصدق والكذب؛ بينما بملاحظة المُخبر نفسه توجد حالة ثالثة؛ فهو إمّا كاذب، وإمّا صادق، وإمّا مخطئ.

٣ـ الكذب في الأخبار المستقبلية:

ثمّ بعد هذا يجدر الالتفات إلى أمر مهمّ؛ وهو أنّ الكذب هل يتناول الإخبار عن قضايا مستقبليّة؛ كالذي يصنعه المنجّمون والمتنبّئون وغيرهم من خلال الإخبار عن المستقبل، أو أنّ هذا ليس من الكذب؛ حيث يكون الكذب مختصّاً في الإخبار عن الماضي والحاضر؟

الإخبار عن القضايا المستقبليّة التي لا تتحقّق في الغالب أو في أكثر الأحيان؛ تندرج في إطارها العام في عنوان الكذب، ويمكن أن تدخل في الوعد الكاذب، فإنّ الذي يقول مثلاً: سيحصل الأمر الفلاني؛ فهو بالتالي يتعهّد بوقوع ذلك، وقد وصف القرآن الكريم قوماً بالكذب؛ لأنّهم قد أخبروا عن أمرٍ لا يتحقّق بحسب علم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[1]، فهؤلاء لم يُخبروا عن أمرٍ ماضٍ؛ وإنّما أخبروا عن أمرٍ مستقبليٍّ هم عازمون على فعله، ولكنّ الله تعالى يعلم أنّهم لا يريدون فعل ذلك حقّاً فوصفهم بالكذب؛ لأنّهم حين الإخبار لم يكونوا جادّين في عزمهم؛ وبهذا يتّضح أنّ الكذب كما يتّصف به الإخبار عن الماضي والحاضر، كذلك يتّصف به الإخبار عن المستقبل.

---

(١) الحشر: آية١١.

٣ـ رأي بعض فلاسفة الغرب حول مفهوم الكذب

يرى الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا أنّ مفهوم الكذب يقترب من مفهوم الخِداع؛ لأنّ الكاذب يقصد خِداع الآخرين وإيقاعهم في الخطأ، فهو يقول : «**بإمكاننا أن نُخطئ أو نغلط دون أن نكون قد كذبنا، وقد يحدث أن نمدّ الآخرين بمعلومات خاطئة دون أن يعني ذلك أننا كذبنا عليهم، فعندما ننطق بأقوال خاطئة أو مغلوطة ونحن نعتقد أنّها صحيحة، ونوصلها إلى الآخرين دون أن نقصد خداعهم، فنحن لا نكذب**»[1]، ومن الواضح أنَّه بهذا يتحدَّث عن شخص الكاذب لا عن الكذب نفسه، وأنّ القصد وسوء النيّة ممّا له علاقة في تحقّق المفهوم؛ وهذا المقدار هو موضع وفاق بيننا فقد خلصنا ـ فيما سبق ـ إلى أنّ وصف الكاذب يرتبط بالقصد وحالة التعمّد والعلم.

ولكنّنا نختلف معه في جانب آخر؛ وهو أن هذا الفيلسوف يعتقد أنّ المتكلّم حتّى لو نطق بما يعتقد بصدقه وصحّته، إلاّ أنّه يكون كاذباً فيما لو كان هدفه خِداع الآخرين، فهو يقول: إنّ «**الكذب على الآخرين يتضمّن الرغبة في خداعهم؛ وذلك حتى إذا كانت أقوالنا حقّة، والحال أنّه بإمكاننا أن ننطق بأقوال خاطئة دون أن نكون كاذبين، وأن نقول أقوالاً حقّة الهدف منها خِداع الآخرين ونكون آنذاك كاذبين**»[2]، وهو شيء يصعب قبوله؛ لأنّ مجرّد قصد خِداع الآخرين لا يجعل من المتكلّم الصادق في إخباره كاذباً، نعم هو مُخادع،

---

(١) دريدا، جاك، تاريخ الكذب: ص١٦، ترجمة وتقديم: رشيد بازي.
(٢) المصدر السابق: ص١٧.

وسيّئ السريرة، ومُحتال، وأمثال ذلك من الأوصاف التي تليق به، ولكنّه لا يُسمّى كاذباً بحسب ما عرفناه من معنى الكذب، كما لا يوجد دليل على مُدّعاه ولا شاهد يشهد بصحّته.

وفي الحقيقة أنّ مرجع ما توصّل إليه دريدا هو من الخلط بين الكذب في القول والكذب في النيّة والفعل؛ فإنّ الكذب كما يكون بالإخبار على خلاف الحقيقة يكون أيضاً في النيّة والفعل؛ فالذي يُظهر للآخرين حسن النيّة، والحب والمودّة لهم، والحرص عليهم، ولكنّه في الحقيقة على خلاف ذلك؛ إذ هو يُخفي في نفسه سوء النيّة، ويُضمر لهم في داخله كلّ الحقد والكراهيَة؛ فإنّه يكون كاذباً مخادعاً، ولكنّه ليس من الكذب القولي، نعم هو من الكذب في الفعل والنيّة؛ وهذا ما سنتحدّث عنه في النقطة التالية.

٤ـ الكذب في غير القول

عرفنا من تعريف الكذب أنّه الإخبار على خلاف الواقع أو المعتقد أو كليهما؛ فهو إذن إخبار، ولكن يبقى لنا أن نتساءل بعد هذا: فهل ذلك يعني أنَّه مختصٌّ بما كان إخباراً لسانيّاً ومندرجاً ضمن دائرة الكلام فقط؟ أو هو يشمل ما يصدر من الإنسان من غير ذلك، كالفعل أو الإشارة ونحو ذلك مما يُظهر ويحكي على خلاف الحقيقة؟

فلا شكّ في أنّنا نرى في سلوكيّات بعض الناس ما يرجع في روحه وحقيقته إلى الكذب، ويمكننا أن نصف ما يصدر منه أنّه كذب؛ فالذي لا يصلّي في حياته اليوميّة، ولكنّه عندما يجتمع مع المؤمنين في المسجد أو ـ أماكن

العبادة الأُخرى ـ نراه يؤدّي الصلاة، فهو بمثابة أن يقول: أنا أصلي، وهو خلاف الحقيقة، فإنّ المؤمنين عندما يرون منه ذلك يظنّون به خيراً، وأنّه محافظ على الصلاة، ولكن الواقع غير ذلك.

ومثل هذا المصلّي المزيّف ذلك التاجر الثري الذي يسجّل اسمه في سجلّات دوائر الضمان الاجتماعي بُغية الحصول على مرتّب تخصّصه الحكومة للفقراء أو العاجزين الذين لا يجدون ما يسدّون به رمق الحياة، أو تلك المرأة المتزوّجة التي تُطلّق نفسها في المحاكم العُرفيّة، لكي تحصل على مستحقّات المطلّقة، أو مثل تلك المرأة التي تُخفي عيوبها عن الخاطبين بالزينة والكماليّات، وهو ما يُطلق عليه بالتدليس ـ وله باب في الفقه تحت عنوان (تدليس الماشطة) ـ إنّ مثل هذا الإنسان كاذب بكلّ المقاييس، ومخادع ومحتال، ونقول له بلا تردّد: إنّك كاذب.

ولكن يبقى أن نسأل: هذا الذي ذكرناه وإن كان في روحه من الكذب، ولكن هل هو من الكذب في الاصطلاح أو لا؟

يرى بعض علماء الأخلاق أنّه كذب؛ لأنّ الكذب لا يقتصر على اللسان وحده، بل هو شامل لكل ما يخالف الحقيقة، وقد ذكر له أقساماً، هي:

١ـ الكذب في القول: وهو الإخبار عن الأشياء على خلاف الحقيقة، وقد تقدّم الحديث عنه.

٢ـ الكذب في النيّة والإرادة: وهو فيما إذا لم تكن النيّة خالصة لله تعالى، فكان يشوبها شيء من الرياء أو رغبة للنفس في الفعل بعيداً عن الله تعالى،

فمَن راقب نيّته ووجدها ليست خالصة لله تعالى؛ فمعنى ذلك أنه يكذب في حقّ الله تعالى؛ لأنّ حقّه تعالى أن يُخلص له العبد في نيّته، قال الله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[١].

٣ـ الكذب في العزم: فالمؤمن الصادق هو الذي يكون عزمه صادقاً عندما ينوي ويقدم على أمرٍ حسن؛ كما لو عزم على التصدّق أو إعانة اليتيم، ولو كان في عزمه شيء من الضعف والتردّد؛ فإنّه ليس صادقاً في عزمه، بل هو كاذب .

٤ـ الكذب في الوفاء بالعزم: بعض الأحيان نعزم على فعل معيّن ونكون صادقين حين العزم على الفعل، ولم نتردّد عند عزمنا، ولكنّنا حين الفعل يُصيبنا نوع من التردّد، كما لو عزما على إعانة يتيم، لكنّنا حين مجيء وقت الإعانة نجد في عزمنا شيئاً من التردّد؛ بحيث يقع تردّدنا في الوفاء بما عزمنا عليه؛ فهذا هو الكذب في الوفاء بالعزم، والفرق بينه وبين الكذب في العزم: أنّ الكذب في العزم يكون التردّد وعدم الجزم والإصرار من حين العزم؛ بينما الكذب في هذا القسم إنّما يكون في مرحلة التنفيذ.

٥ـ الكذب في الأعمال: والمقصود به أن لا يتطابق الظاهر مع الباطن؛ فهو (أي: الكاذب) يُظهر التقوى والورع ولكنّ واقعه ليس كذلك[٢].

وقد عرّف في كلمات بعضهم بأنه: «**الخروج عن الحقيقة في قولٍ أو عمل**»[٣].

---

(١) الأعرف: آية ٢٩.

(٢) أُنظر: النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج٢، ص٢٤٦.

(٣) الشيرازي، السيّد محمّد الحسيني، تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٤، ص٣٠٩.

ولعلّنا نجد لهذا الرأي شواهد في لغة العرب؛ من ذلك استعمال لفظ الكذب في غير الإنسان، فيقال: كذب البرق، والحُلُم، والظن، والرجاء، والطمع، وكذبت العين: خانها حِسُّها، وكذب الرأي: توهّم الأمر بخلاف ما هو به، وكذبته نفسه: مَنَّته بغير الحق، كما قد تقدّم ذكره في كلمات اللغويين، وتقدّم أيضاً أنّ بعض اللغويين يرى شمول الكذب لغةً للفعل أيضاً، ولا يقتصر على القول فقط.

ففي جميع هذه الشواهد قد أُطلق الكذب على غير القول، بل على غير الإنسان، وفي القرآن الكريم شواهد على ذلك، منه قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[1]، ومعناه: أنّ ما رآه الفؤاد عين الحقيقة، ولم يكن وهماً أو خيالاً، وهو مطابق لمعنى الكذب روحاً ومضموناً؛ فأطلق عليه الكذب مع أنه ليس كلاماً.

وحتّى لو لم تكن شواهد هذا الرأي واضحة؛ لاحتمال أن تكون لفظة الكذب قد استُعملت في جميع هذه الموارد مجازاً، إلاّ أنّنا نجد في تعريف الكذب بـ : «**أنّه الإخبار على خلاف الحقيقة**» ما يبرّره، فأيُّ فرق بين أن يقول الغنيّ: إني فقير، أو يستلم راتباً من الأموال التي تخصّصها بعض الحكومات كمعونة للفقراء وأصحاب الدخل المحدود؟ ففي كلتا الحالتين هو كاذب، وهل هناك فرق بين مَن يقول: إنّي صائم وهو مفطر، وبين أن يتظاهر بأنّه صائم؟

---

(١) النجم: آية ١١.

إنّنا لا نجد فرقاً بين هاتين الحالتين، فكلتاهما من مصاديق الخبر الكاذب، إلاّ أنّ الأوّل، إخبار باللسان، والآخر إخبار بالعمل.

وإذا كان الصدق على أنواع متعدّدة، فمنه صدق اللسان، ومنه صدق القلب، ومنه صدق العمل، فَلِمَ لا يكون الكذب كذلك؛ بعد أن كان هو ضدّه، فيكون هناك كذب في اللسان، وآخر في القلب، وثالث في العمل، أليس الشيء يُعرف بضدّه؟

ففي النهاية حتى لو لم يُعدّ الكذب العملي كذباً في اللغة والاصطلاح؛ إلا أنّه يبقى في واقعه وروحه من الكذب الذي لا ينبغي صدوره من المسلم.

٥ـ مفردات ذات صلة

كثيرة هي خصائص اللغة العربيّة التي تجعلها على رأس اللغات الحيّة من حيث الشمولية والعمق والدقّة المتناهية؛ وممّا يزيدها امتيازاً أنَّ هذه الدقّة وذاك العمق لم يسلباها جمالها، ولا نزعا عنها سلاستها وبساطة تعابيرها.

وهناك ظواهر عديدة تشتمل عليها لغة الضاد غير خافية على المهتمّين بشؤونها، فضلاً عن المتخصّصين بعلومها، ولعلّ من أبرز تلك الظواهر وجود ما قد يُعبَّر عنه بالترادف بين الألفاظ بمعنى أن يكون هناك أكثر من لفظ يدلّ على معنى واحد.

وإنَّما قلنا: (ما يعبَّر عنه بالترادف)؛ لأنّ هناك بحثاً في أنَّه هل هناك ترادف في اللغة العربية فعلاً، أو أنَّ تلك الألفاظ المرتبطة بالمعنى الواحد هي

في الحقيقة ـ وإن كانت متقاربة في الدلالة ـ إلا أنَّ كلَّ واحد منها إنَّما يدلُّ على المعنى مع خصوصيّة تجعله مبايناً لما يدل عليه اللفظ الآخر.

ونحن هنا نريد أن نسلِّط الضوء على بعض الألفاظ التي تتّحد أو تتقارب مع لفظ الكذب مع ملاحظة ما يمكن أن يكون به امتياز لها عن الكذب إن كان ، ولذلك فإننا سوف نتناول ألفاظ (الإفك، والافتراء، وقول الزور، والبهتان، والتورية).

وسنبحثها تباعاً ضمن عناوينها الآتية:

الإفك

جاءت هذه المفردة في كتب اللغة بمعنى الكذب، قال الفراهيدي في العين: «**الإفك: الكذب. أفك يأفك إفكاً**»(١)، وجاء مثله في لسان العرب ومختار الصحاح(٢)، وذكر أبو هلال العسكري في الفروق اللغويّة: أنّ الإفك يُطلق على خصوص الكذب الفاحش ـ أي: في المسائل الخطيرة ـ وليس على كلّ ما كان كذباً(٣)؛ فالكذب على الله ورسوله كما يُطلق عليه كذب، يُطلق عليه إفك أيضاً؛ لأنّه من الكذب العظيم الفاحش، وهذا المعنى هو الواضح في الاستعمالات القرآنية؛ فأنت تجد أنّ الكذب إذا كان في أمرٍ عظيم وفاحش

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين:ج٥، ص٤١٦.

(٢) أُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص٣٩٠، مادّة (أفك). الرازي، محمّد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص١٨، مادّة (أ ف ك).

(٣) أُنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغويّة: ص٤٥٠.

يستعمل القرآن لفظ الإفك، كما في حادثة الإفك المعروفة، حيث اتُّهم عِرض النبيّ ﷺ باتّهام خطير؛ ولذا قالت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، فهي تستعمل لفظ الإفك للدلالة على عظم الكذب وفُحشه، فأيّ فُحش أعظم من النيل من عِرض النبي وشرفه؟! وفي آية أُخرى يُستعمل الإفك كوصف لليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، وللنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]، فقولهم هذا كذب عظيم؛ ولهذا تعبّر الآية: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ولم تعبّر الآية بالكذب، فلم تقل: (أنّى يكذبون) وإنما قالت ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾؛ وذلك لأنّه من أعظم الكذب وأخطره، إلى غيرها من الآيات التي تستعمل مفردة الإفك في الكذب، فإنّها تستعمله في الكذب العظيم والخطير؛ بينما الكذب يُستعمل بشكل عام في الخطير واليسير.

---

(١) النور: آية١١.

(٢) ومعنى (يُؤفكون) في هذه الآية أنّهم «يُصرفون عن الحق إلى الإفك الذي هو الكذب، ورجل مأفوك عن الخير وأرض مأفوكة صُرف عنها المطر». الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٥، ص٢٠٦.

(٣) التوبة: آية٣٠.

ومما يؤكّد أنّ الإفك يُستعمل في الكذب العظيم، ولا يستعمل في الكذب اليسير؛ ما نجده في استعمالاتنا العُرفيّة الدارجة؛ فإنّنا نطلق على الكذبة اليسيرة: أنّها كذبة، أو كذب، ولكنّنا لا نطلق عليها، لفظ الإفك ممّا يعني أنّ الكذب أعمّ من الإفك.

وممّا يؤكّد الفرق بين اللفظين؛ أنّ النصوص الإسلاميّة قد استثنت أنواعاً من حرمة الكذب، مثل الكذب من أجل الإصلاح، أو الكذب لمراوغة العدو والكيد له، أو الكذب اضطراراً؛ ففي هذه الحالات جميعها يُستعمل لفظ الكذب، ويكون أمراً محبّباً وأحياناً واجباً، ولكن في المقابل لم نجد حالة استثنائيّة واحدة في جانب الإفك؛ فليس هناك إفك حسن أو جائز، فلا يقال: يجوز الإفك في الحالة الفلانيّة؛ وهذا ممّا يؤكّد أنّ الإفك مختصّ بما هو عظيم؛ ولذا هو سيّئ ومحرّم دائماً.

والحاصل: فإنّ الكذب أعمّ من الإفك؛ فهو يشمل الكذب الفاحش وغير الفاحش؛ بينما الإفك يقتصر على الكذب الفاحش الخطير فقط.

الافتراء

يتّفق اللغويّون على أنّ الأصل في الفري القطع والشقّ، فيقال: فريت اللحم؛ أي: قطعته وشققته، وفريت الأرض إذا شققتها وقطعتها، وهكذا؛ ومن هذا المعنى استُعير الافتراء للكذب، فيُقال للكذب: افتراء، وللكذبة: فِرية؛ لأنّ الكاذب عندما يُخبر بخبر بما لا واقع له ولا وجود له؛ فقد قطع

بشيء لا تحقّق له بالخارج، فالكاذب يوحي للسامع أنّه قاطع وجازم بأنّ ما يتكلّم به إنّما هو واقع وحق، ولكنّه في الحقيقة خلاف الواقع[١].

ففي العين: «**الفري: الشقّ... وفريت الشيء بالسيف وبالشفرة: قطعته وشققته... والفِرية: الكذب والقذف**»[٢]. وفي النهاية: «**وأصل الفري: القطع، ويقال: فريت الشيء أفريه فرياً إذ شققته وقطعته للإصلاح، فهو مَفْرِيّ وفَرِيّ ، وأفريته: إذا شققته على وجه الإفساد... الفري: جمع فِرية وهي الكذبة**»[٣].

فالافتراء يُستعمل في الكذب، ولكن بحسب تتبّع موارد استعمالاته؛ يتّضح أنّه لا يُستعمل في مطلق الكذب، فليس هو لفظ مرادف للكذب؛ وإنّما يُستعمل في خصوص الكذب على الغير، مثل أن ننسب إلى الغير فعلاً لم يرتكبه، كشرب الخمر أو أكل الربا؛ فهذا هو الافتراء، ولا يشمل نسبة الفعل إلى النفس، مثل أن تقول: أنا أقرأ القرآن يوميّاً أو أتصدّق على الفقراء كلّ يوم جمعة، وأنت لا تفعل ذلك؛ فهذا كذب، ولكنّه لا يُسمّى افتراءً.

وقد استُعمل الافتراء في القرآن الكريم في نسبة الأشياء إلى الغير كذباً وزوراً في موارد كثيرة، كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا**﴾[٤]؛ أي: اختلق على الله، ونسب إليه الكذب. وكقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ**

---

(١) فخر الدين الرازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج٨، ص١٥٠.
(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٨، ص٢٨٠.
(٥٩) ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٣، ص٤٤٢.
(٤) الأنعام: آية٢١.

﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[١]؛ أي: أتى به من عنده ونسبه إلى الله تعالى، وهناك غيرهما من الآيات التي يُستعمل فيها الافتراء بمعنى الكذب على الآخرين، ونسبة الأشياء إليهم كذباً.

وقد صرّح أبو هلال العسكري بهذا الفرق بين الكذب والافتراء قائلاً: بأنّ الكذب أعمّ؛ يشمل الكذب على الغير والكذب على النفس، كما لو قال: لقد فعلت الشيء الفلاني، وهو لم يفعله، فهذا كذب ولكنه ليس افتراءً؛ لأنّ الافتراء يختصّ بالكذب على الغير؛ أي: نسبة الأشياء إلى الغير كذباً وزوراً[٢].

قول الزور

عند تتبّع لفظ الزور في كلمات اللغويّين؛ يظهر لنا أنّه يأتي بمعنى الميل والعدول، ويأتي بمعنى الكذب؛ لأنّه عدول عن الحقّ وميلٌ عنه، قال ابن فارس: «**الزاء والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول، من ذلك الزور: الكذب؛ لأنّه مائل عن طريقة الحق**»[٣]، وأُطلق الزور على الباطل وعلى التهمة[٤]؛ لأنّ الباطل والتهمة ميل عن الحق أيضاً، وعلى هذا الأساس يتّضح أنّ قول الزور يشتمل على معنىً عامٍّ أوسع من معنى

---

(١) السجدة: آية٣.
(٢) أُنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية : ص٤٤٩.
(٣) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة:ج٣، ص٣٦.
(٤) أُنظر: ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٣١٨.

الكذب؛ لأنّه ـ كما تقدّم ـ يشمل كلّ كلام باطل مجانب للحقيقة، بعيد عن الصواب؛ بينما الكذب وإن كان مجانباً للحقيقة أيضاً ولكنّه مختصٌّ بصورة الإخبار، ولا يشمل صور الكلام الباطل الأُخرى؛ ولهذا فسّر علماء التفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[١]، بكلّ كلام يشغل الإنسان بغير حقّ، مثل الغناء والكذب وغيرهما[٢].

البهتان

أصل البهت أنّه من الدهشة والحيرة، فمَن نظر إلى شيء بتعجّب منه يُقال عنه: قد بُهت؛ أيّ: تحيّر وتعجّب ودُهش، قال في العين: «**وبهت الرجل يبهت بهتاً إذا حار، يقال: رأى شيئاً فبهت: ينظر نظر المتعجّب**»[٣]، ولأنّ الكذّاب يواجه المكذوب عليه بشيء لا واقع له، بحيث يُثير عنده الدهشة والحيرة والتعجّب؛ أُطلق البهتان على الكذب إذا كان ممّا يتحيّر منه السامع ويندهش، جاء في لسان العرب: «**قال أَبو إِسحاق: البُهْتانُ الباطلُ الذي يُتَحَيَّرُ من بُطْلانِه، وهو من البَهْتِ التَّحَيُّر**»[٤]، وأضاف أبو هلال العسكري إلى معنى البهتان شيئاً آخر وهو: «**الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له**»[٥].

---

(١) الحج: آية ٣٠.
(٢) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧، ص١٤٨.
(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٤، ص٣٥ـ٣٦.
(٤) ابن منظور، محمّد بن مكرم ، لسان العرب: ج٢، ص١٣.
(٥) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية: ص٤٥٠.

وعلى هذا الأساس يكون الفرق بين الكذب والبهتان كالتالي:

١ـ إن البهتان يختصّ بما يكون ممّا يندهش منه السامع ويتعجّب؛ بينما الكذب لا يختصّ بذلك.

٢ـ إن البهتان يختصّ بالكذب الذي ينسبه الكاذب إلى الغير، ولا يشمل ما ينسبه الكاذب إلى نفسه؛ فالبهتان مثل أن يقذف المتكلّم المرأة المُحصنة بالزنا كذباً.

٣ـ إن البهتان مختصٌّ بالكذب الذي يواجه به المكذوب عليه مع مكابرة الكاذب وإصراره وافترائه.

والحاصل ممّا سبق: اتّضح أنّ الكذب أوسع معنى من معنى الإفك والافتراء وقول الزور والبهتان.

التورية

ومن المفردات التي يحسن بنا ـ ونحن في صدد الحديث عن معنى الكذب ـ أن نتحدّث عنها هو لفظ التورية؛ فإنّه قد ورد ذكرها في إطار الحديث عن الكذب، فذكروا أنّ بالإمكان التخلّص منه بالتورية، حتّى رُوي عن النبيّ الأكرمﷺ أنّه قال: «**إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب**[1]»[2]، فإنّ

---

(١) مقصود الحديث؛ أنّ بالإمكان تجنّب الكذب من خلال استعمال المعاريض؛ أي: التورية، فلو كان عندك سكّينٌ وكرة، وأراد ولدك الصغير السكّينَ ليلهو بها، ولا يريد الكرة، وكنت لا ترغب بإعطائه ذلك، فلك أن تقول له: ما تريده سأُعطيك، وتقصد بـ(ما) النافية لا الموصولة، فهو قد فهم أنّك ستُعطيه السكّين؛ بينما أنت قد قصدت الكرة. و(المندوحة): السعة. أُنظر: الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال: ج١، ص١٦.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج١٠، ص١٩٩.

المقصود من المعاريض التورية؛ لأنّ التعريض بمعنى عدم التصريح، ولهذا السبب فُسّر بالتورية، قال الجوهري في الصحاح: «**والتعريض: خلاف التصريح، يقال: عرضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعاريض في الكلام، وهي التورية بالشيء عن الشيء**»[١]؛ وعلى هذا يكون معنى التورية (إخفاء الخبر وعدم إظهار السرّ)[٢]، وقال ابن سلام في منشأ التسمية بالتورية: «**ولا أراه مأخوذاً إلاّ من وراء الإنسان؛ لأنّه إذا قال: وريته فكأنّه إنّما جعله وراءه حيث لا يظهر**»[٣]، فحقيقة التورية وأساسها إخفاء المعنى المراد والمقصود بآخر ظاهر وواضح لدى السامع، وبهذا صرّح النويري بقوله: «**أن يذكر ألفاظاً لها معانٍ قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلّم البعيد**»[٤].

ولنذكر بعض الأمثلة للتورية:

قال عمر بن أبي ربيعة:

أيّهـا المُـنكِحُ الثّريّـا سُـهيلاً ... عَمْـركَ الله كيـف يلتقيـانِ

هـي شـاميّةٌ إذا مـا اسـتقلَّت ... وسُـهيلٌ إذا اسـتقلّ يـماني[٥]

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٣، ص١٠٨٧.
(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٨، ص٣٠١.
(٣) ابن سلام، القاسم بن سلام، غريب الحديث: ج١، ص١٩٨.
(٤) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب:ج٧، ص١٣١.
(٥) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ج١، ص٤١٢.

والتورية في لفظ (الثُّريّا) و(سُهيل)؛ فانّ ظاهرهما الكوكبان المعروفان، لا سيّما مع قرينة (كيف يلتقيان)، ولكنّ الشاعر ورّى بهما عن الثُّريّا بنت علي ابن عبد الله بن الحارث بن أُميّة، وزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف.

وقال شاعر آخر :

أيُّهـــا المُعْـــرِضُ عَنّـــا حَسْـــبُكَ اللهُ تعـــالى[1]

والتورية في قوله: (تعالى)؛ فإنّ الظاهر منها وصف الله بالتعاظم والعلوّ، ولكنّ المراد الفعل؛ أي: أقبِل إلينا أيّها المُعْرِضُ.

ومن أمثلة التورية أيضاً أن نقول مثلاً: ذهبنا إلى القاضي لنشهد فوجدناه قد قضى؛ والمقصود: قد قضى نحبه؛ أي: مات، مع أنّ الظاهر قد حكم وقضى في القضيّة، وهناك المزيد من الأمثلة سنتحدّث عنها في فصل علاج الكذب، إن شاء الله تعالى.

إلى هنا يتوضّح لنا معنى التورية وأمثلتها، ويبقى أن نتساءل، هل التورية من مصاديق الكذب، أو لا؟

هناك مسألة مهمّة إذا اتّضحت صار من اليسير علينا أن نُدرج التورية في الكذب أو لا نُدرجها، وحاصل هذه المسألة أنّنا قد ذكرنا في تعريف الكذب أنّ أكثر العلماء قالوا في تعريفه: إنّه الإخبار بخلاف الواقع، فيكون الصدق مطابقة الخبر للواقع.

---

(١) الحموي، علي بن محمّد، خزانة الأدب وغاية الأرب: ص٢٧١.

ولكن ما معنى مطابقة الخبر للواقع؛ فهل معنى ذلك مطابقة ظاهر الكلام للواقع؟ أو المقصود مطابقة مراد المُخبر للواقع؟

ولننطلق في توضيح الجواب من هذه الحادثة، فقد روى المحدّثون عن رجلٍ في عهد عمر قال ـ للذي سأله كيف أصبحت؟ ـ : أصبحت أُحبّ الفتنة وأكره الحق... فرُفع أمره إلى عمر، فسأل عمر أميرَ المؤمنين عليه السلام عن ذلك، فقال عليه السلام: لقد صدق. فقال عمر: وكيف ذلك؟ فأجابه: بأنّه يُحبّ الفتنة؛ أي: الأولاد والأموال، فإنّها فتنة كما صرّح القرآن بذلك، وأنّه يكره الحقّ؛ أي: الموت، فإنّه حقٌّ[1].

وموضع الشاهد فيها التورية التي استعملها هذا الرجل، فإنّه ورّى عن حبّه للأولاد والأموال بالفتنة، بما أوهم السامع بأنّه يُريد المعنى الظاهر منها، وعن كراهيته للموت بكراهيته للحق ممّا أوهم السامع أيضاً بإرادته المعنى الظاهر، فهنا لدينا معنيان؛ أحدهما: هو المعنى الظاهر من الكلام بحيث يفهمه السامع ويتلقّاه مباشرة، وثانيهما: هو المعنى الخفيّ غير الظاهر الذي يُريده المتكلّم ويقصده، فهل المقصود من الصدق مطابقة الكلام للمعنى الظاهر؛ أو مطابقته لمراد المتكلّم ومقصوده؟

للفقهاء بحث مفصّل حول هذا الموضوع، يمكن مراجعته في موضعه المناسب[2]، ولكن ما نُريده هنا هو التنبيه على بعض الأمور المتعلّقة بهذا الشيء، وهي:

---

(١) أُنظر: ابن الصبّاغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج١، ص١٩٨.
(٢) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج١، ص٦٠٧، وما بعدها.

١ـ إذا كان المقصود من المطابقة مطابقة الكلام للمعنى الظاهر، وليس للمعنى الذي يقصده المتكلّم؛ لزم أن تدخل التورية في دائرة الكذب؛ لأنّ المعنى الظاهر فيها ليس مطابقاً للواقع، أو للاعتقاد، فالمعنى الظاهر في المثال المتقدّم أنّ الرجل يُحبّ الفتنة؛ أي: الضلال والانحراف عن الحق ونحو ذلك، ولكنّ الحقيقة ليست ذلك فإنّه في الواقع إنّما يُحبّ الأولاد والأموال، وأمّا إذا كان المقصود من المطابقة مطابقة الكلام للمعنى الذي أراده المتكلّم؛ أي: حبّ الأولاد والأموال فهو من الصدق وليس من الكذب.

٢ـ قد ذكرنا فيما سبق أنّ الكذب تارة يُطلق على الكلام، فنقول: هذا الكلام كذب، وأُخرى على المتكلّم، فنقول: هذا كاذب؛ وعلى هذا الأساس لا يتّصف الذي يستعمل التورية بالكذب، فلا يُقال له: أنت تكذب؛ لأنّ وصف الكذب لا يُطلق على المتكلّم إلاّ إذا كان قاصداً للكذب متعمّداً في ذلك، في حين أنّ الذي يستعمل التورية ليس لديه قصد الكذب، وإنّما يقصد المعنى الصحيح.

٣ـ استُعملت عملية التورية في موارد كثيرة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، مع الضرورة وبدونها، سنذكر بعضاً منها عند الحديث عن التورية في فصل علاج الكذب، وسنُشير إلى حكمها الفقهي هناك إن شاء الله تعالى.

٦ـ استعمالات مفردة الكذب واشتقاقاتها في القرآن الكريم

بعد أن عرفنا معنى الكذب في اللغة والاصطلاح، واتّضحت لنا حدوده؛ يجدر بنا أن نتعرّف على استعمالاته في القرآن الكريم، وهل استُعمل بمعناه الحقيقي، أو كانت له استعمالات أُخرى؟

والجدير بالذكر أنّ هذه المفردة ومشتقّاتها قد قيل: إنّها تكرّرت في القرآن الكريم (٢٥١)(١) مرّة، وقد استُعملت بصيغ مختلفة، فتارةً تأتي بصيغة الفعل وأُخرى بصيغة الاسم، وقد ذُكر أنّها قد جاءت بمعانٍ متعدّدة غير معنى الكذب، نستعرض فيما يلي بعض تلك الاستعمالات:

١ـ النفاق، قال عزّ من قائل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾(٢)، فقد وصف الله سبحانه المنافقين بالكذب؛ فالمنافق كذّاب.

٢ـ الوهم أو الخطأ، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾(٣)، فالمراد أنّه لم يتوهّم الفؤاد أو لم يخطئ ما رآه؛ فالذي رآه كان حقيقة، وقد أُطلق الكذب فيها على الوهم، وهو استعمال مجازيٌّ وليس حقيقيّاً.

٣ـ الردّ والدفع، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾(٤)؛ أي: ليس هناك ما يدفع وقوعها ويمنعه، فلفظ (كاذبة) يُراد به الدافع والمانع، ولا يُراد به المعنى الحقيقي للكذب، وهو الإخبار على خلاف الحقيقة.

هذه ثلاثة معانٍ ذُكرت للكذب، ولعلّ هناك معانيَ أُخرى قد تُذكر.

ولكنّنا لو تأمّلنا في جميع هذه الموارد وأمثالها؛ لأمكننا القول: إنّ الكذب لم يخرج عن معناه الأصلي، الذي هو الإخبار بخلاف الحقيقة، أو

---

(١) مقال منشور تحت عنوان (كذب) على موقع الموسوعة الحرّة، على شبكة الأنترنت https://arwikipedia.org/wiki

(٢) المنافقون: آية١.

(٣) النجم: آية١١.

(٤) الواقعة: آية١ ـ ٢.

إظهار خلافها، ففي المثال الأوّل أخبر سبحانه وتعالى بكذب المنافقين، ومن الواضح أنّ المنافق إنّما هو كذّاب؛ إذ هو يخبر على خلاف الحقيقة، كما تحدّث القرآن الكريم عن ذلك كثيراً، ففي نفس الآية يمارس المنافقون الكذب، حيث إنّهم يشهدون بخلاف ما يعتقدون، فهم يشهدون بأنّ محمداً رسول الله، وهو حقٌّ، ولكنّها شهادة كاذبة؛ إذ هي شهادة لا تتعدّى حدود الكلام؛ لأنّهم لا يُؤمنون برسالته ﷺ، فهم يشهدون بشيء، ويضمرون خلافه؛ وهذا هو معنى الكذب الذي تعرفنا عليه فيما سبق[1].

ومن لطيف ما ذكره القرآن الكريم أنّ سبب النفاق إنّما هو الكذب، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[2]، فهؤلاء قد عاهدوا الله على أن يصدّقوا ويكونوا من الصالحين فيما لو آتاهم من فضله، فلمّا استجاب لهم وأغدق عليهم بالنعم، بخلوا، واستأثروا بالنعم، ونقضوا الوعد، فهم قد كذبوا على الله تعالى؛ فكانت عاقبتهم أن أعقبهم ﴿نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ وذلك لأنّهم: ﴿أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾، إذن عاقبة الكذب النفاق؛ فالذي يكذب ويألف الكذب في حياته يتحوّل فيما بعد إلى منافق.

---

(١) وهذا ممّا يؤكّد دور القصد في تحقّق وصف الكاذب، وأنّ به يتحقّق هذا العنوان مع قطع النظر عن الواقع.

(٢) التوبة: آية٧٥ ـ ٧٧.

وكذلك الأمر في المثال الثاني، فإن الفؤاد لم يكن ما رآه وهماً أو خطأً، ليكون مخالفاً للحقيقة، وما رآه صدقاً وحقاً، فنفي الكذب عنه إثبات لصدقه، ومن الواضح أنّ هذا المعنى يرجع إلى معنى الكذب روحاً ومضموناً، وقد أشرنا سابقاً إلى أنّه قد يكون للكذب معنى وسيع يتناول كل ما كان مخالفاً للحقيقة، ولا يختصّ بالكلام فقط.

وأمّا المورد الثالث، فإنّ الآية تحتمل أكثر من معنى، فلعلّ المراد من كاذبة: ليس لوقعتها قضية كاذبة فيها؛ لإخبار الله تعالى بها ودلالة العقل عليها[١]، ولعلّ المعنى: إنّها تقع صدقاً وحقّاً، فليس فيها ولا في الإخبار عنها ووقوعها كذب[٢]، كما يمكن أن يكون المعنى: «**إشارة إلى أنّ وقوع القيامة ظاهر وواضح إلى حدٍّ لا يوجد أيّ مجال لتكذيبه أو بحثه والنقاش فيه**»[٣]؛ جميع هذه المعاني يمكن أن يُقال: قد استُعمل الكذب في معناه الحقيقي.

إذن؛ في جميع هذه الموارد لم يخرج الكذب عن معناه الحقيقي الذي هو مخالفة الحقيقة قولاً أو عملاً، ولم يُستعمل في معنىً آخر؛ وهذه النتيجة التي توصلنا إليها متحققة في سائر الاستعمالات القرآنيّة لمفردة الكذب؛ فإنّنا لم نلمس من خلال التتبّع ما يُشير إلى معنىً آخر خارج عن إطار المعنى العام للكذب.

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٩، ص٤٨٨.
(٢) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٩، ص٣٥٧.
(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل: ج١٧، ص٤٤٥.

الفصل الثاني :

حرمة الكذب في الكتاب والسنّة

الفصل الثاني : حرمة الكذب في الكتاب والسنّة

لا يختلف اثنان في أنّ الكذب من مذامّ الأخلاق وأقبحها؛ لما ينطوي عليه من خِداع وتضليل وتزييف وقلب الحقائق على الآخرين، وحتّى الكذّاب نفسه يعلم أنّ ما يقوم به إنما هو جريمة خُلقية لا تُغتفر؛ بدليل أنّه يذمّ الكذب ولا يقبل من الآخرين أن يكذبوا عليه؛ وعلى هذا الأساس فالكذب مذموم وقبيح عند الإنسانيّة قبل أن تذمّه الكتب السماويّة، ولكنّه مع كلّ ذلك لا يزال من الصفات الشائعة الانتشار في المجتمع، ويمارسه الكثير من الناس، إمّا عن سوء نيّة أو للتسامح في هذا الأمر الخطير، أو للغفلة عن تطبيقاته وموارده أو لغير ذلك؛ ولهذا نجد أنّ الشريعة الإسلاميّة قد خصّصت مساحة واسعة من نصوصها للحديث عن حرمة الكذب وسلبيّاته وآثاره؛ ممّا دعانا لتخصيص هذا الفصل للحديث عن حرمة الكذب المستفادة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

البحث الأوّل : حرمة الكذب في القرآن الكريم

استخدم القرآن الكريم للتعبير عن حرمة الكذب وذمّه تعابير مختلفة ومتنوّعة؛ فهو تارة يعدُّ الكاذب كافراً، وأُخرى يصفه بالظالم، وثالثة بالمتكبّر، ورابعة بالأشقى، إلى غيرها من التعابير التي تشترك جميعاً في بيان مبغوضيّة الكذب وثبوت الحزازة فيه، وأنّ بعض أنواعه من الكبائر التي توعّد الله عليها بالنار؛ وهي الكذب على الله وعلى رسولهﷺ. وفيما يلي نعرض لبعض تلك التعابير؛ لنستشعر مدى خطورة الكذب وبشاعته.

١ـ الكفر والكذب

صرّح القرآن الكريم بأنّ الذي يفتري الكذب؛ إنّما هو الكافر الذي لا يُؤمن بآيات الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾[1].

وقد استدلّ الفقهاء بهذه الآية على أنّ الكذب حرام بكلّ أشكاله وأنواعه، وأنّه لا يختصّ بما كان على الله تعالى أو رسوله أو أوصيائه؛ لأنّ الآية لم تقل: إنّما يفتري الكذب على الله ورسوله الذين لا يُؤمنون بآيات الله. وإنّما قالت: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ﴾؛ أيّ: سواء أكان الكذب على الله أو على الناس؛ فهذا الكاذب لا يُؤمن بآيات الله تعالى، ونحن نعلم أنّ الذي لا يُؤمن بآيات الله إنّما هو كافر؛ فالكذب حينئذٍ يؤدّي بالإنسان الى الكفر، وهو لا شكّ أشد الأمور عند الله وأبغضها لديه.

---

(١) النحل: آية١٠٥.

ومن جانبٍ آخر استدلّ بها الفقهاء على أنّ الكذب من الكبائر؛ لأنّها قد عدّت الكاذب ممّن لا يُؤمن بآيات الله[١]؛ ومن الواضح أنّ العمل الذي يقود الإنسان إلى الكفر من الكبائر.

والآية الكريمة وإن جاءت في سياق المُنكِرين والمكذِّبين لآيات الله تعالى وبيّناته، وممّن لم يؤمنوا بالرسالة، وكذّبوا الرُّسل، ولكنّها مع ذلك لا تمنع أن تكون شاملة لكلّ مفترٍ كذّاب، ممّن طُبع على الكذب حتّى صار له سمة عامة وطبيعة في حياته، فإنّ هذا الإنسان لا يقلّ شرّاً عن أُولئك الكفّار الجاحدين.

وممّا يؤكّد شمولها لكلّ كذّاب أنّ روايات أهل البيت عليهم السلام قد استشهدت بها في مَن يكذب على الناس، ويزيّف الحقائق، ويُلبس عليهم الأمور.

ففي تفسير العيّاشي: عن العبّاس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه ذكر رجلاً كذّاباً ثمّ قال: «**قال الله تعالى:** ﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾»[٢]. فإنه عليه السلام يستشهد بالآية الكريمة لإثبات عدم إيمان الكذّاب، سواء كان هذا الكذّاب يكذب على الله وعلى رسوله وأوليائه، أو كان يكذب على الناس. وفي هذا الإطار توجد روايات عديدة توكّد أنّ الإيمان لا يجتمع مع الكذب، أو أنّ الكذب يقود صاحبه فيما بعد إلى عدم الإيمان، ففي البحار: روى عن دعوات الراوندي، أنّ رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن

---

(١) أُنظر: الأنصاري، مرتضى محمّد أمين، كتاب المكاسب: ج٢، ص١٢.

(٢) العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٧١. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٢.

يزني؟ قال: «**قد يكون ذلك**»، قال: المؤمن يسرق؟ قال ﷺ: «**قد يكون ذلك**»، قال: يا رسول الله، المؤمن يكذب؟ قال: «**لا، قال الله تعالى:** ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾»[1].

وسيأتي الحديث مفصّلاً عن هذه النقطة، عند الكلام عن أضرار الكذب وآثاره.

إذن؛ فالآية الكريمة بشهادة الروايات تشمل كلّ أنواع الكذب وأشكاله، وهي تدلّ على حرمة الكذب؛ لأنّه يقود إلى الكفر، ومن الواضح أنّ أيّ فعل يقود الإنسان إلى الكفر، هو حرام، سواء قاده إلى الكفر العقائدي، أو إلى الكفر الأخلاقي، أي: كفر النعمة، فإنّ كلا الأمرين محرّمان.

٢ـ الوعيد والتهديد

يستخدم القرآن الكريم في إطار منع الكذب والحدّ من تعاطيه أُسلوب الوعيد والتهديد؛ إذ من المعلوم أنّ بعض الناس لا تنفع معهم المواعظ والنصائح، وإنّما يحتاجون إلى التهديد بالعقوبة والوعيد بالعذاب، وهذا الأمر يشبه تماماً أسلوب تربية الأب بالنسبة إلى الأبناء، فبعضهم يكفي في منعه عن القيام بالفعل بوعده بالهديّة والجائزة، أو بمجرّد أن تُطلعه على سلبيّات العمل الذي يقوم به، بينما هناك مَن لا تنفع معه مثل هذه الأساليب، وإنّما يحتاج إلى التهديد والوعيد، وهكذا.. ولأنّ الناس يختلفون في درجة الاستجابة،

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٣.

ويتفاوتون في مقدار التفاعل مع إرادة الله تعالى؛ تنوّعت أساليب القرآن الكريم واختلفت، مع أن الهدف النهائي منها هو إيجاد إنسانٍ مستقيمٍ سويٍّ، فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[١]. فإن «**الويل: كلمة وعيد يتلقّى بها الكفّار، وقيل: هو وادٍ سائل من صديد جهنّم**»[٢]. والإفك ـ كما تقدّم ـ الكذب العظيم ، والأفّاك: إمّا أن يكون المقصود منه مَن يكثر كذبه، وإمّا مَن يكذب كذبة عظيمة، كادّعاء النبوّة مثلاً[٣]. كما أن كلمة: «**أثيم: من مادّة إثم؛ أي: المجرم والعاصي، وتُعطي أيضاً صفة المبالغة**»[٤].

ومقصود الآية أنّها تتوعّد وتهدّد كلّ أفّاك، كثير المعاصي بالويل، فتقول له: الويل لك، كما يُقال ذلك للكافر، وكما نستخدمه نحن أحياناً عندما نقول للبعض: ويلك، أو الويل لك، أو تقول له: لك أيّها الأفّاك الكذّاب وادٍ في جهنّم؛ فهي بالتالي تتوعّد الكذّاب بالعقوبة والعذاب.

ومع أنّ سبب نزول الآية هو بعض مشركي مكّة؛ وهما: أبو جهل، والنضر بن الحارث، ولكن من الواضح أنّ هذه الآية لا تختصّ بهم، ولا بمشركي العرب فقط؛ بل تشمل كذلك كلّ المجرمين الكاذبين المستكبرين في كلّ عصر وزمان، وكلّ الذين يصرّون وكأنّهم لم يسمعوا آيات الله سبحانه، ونداءات الأنبياء، ووصايا الأئمّة، وكلمات والعظماء؛ لأنّها لا تنسجم مع

---

(١) الجاثية: آية٧.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٩، ص١٢٢.

(٣) أُنظر: الكاشاني، فتح الله بن شكر الله، زبدة التفاسير: ج٦، ص٣٠٠.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل: ج١٦، ص١٩٢.

شهواتهم وميولهم ورغباتهم المنحرفة، ولا تؤيّد أفكارهم الشيطانيّة، ولا توافق عاداتهم الخاطئة وأعرافهم البالية وتقاليدهم العمياء[١].

ولعلّ وصف الأفّاك بالأثيم يدل على أنّ كثرة الكذب تقود صاحبها إلى كثرة الإثم؛ فيتحوّل إلى مجرم عاصٍ، وقد صرّحت الروايات بأنّ الكذب مفتاح الشرور والخبائث، ففي الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام: «**جُعلت الخبائث في بيت، وجُعل مفتاحه الكذب**»[٢]، وورد أيضاً: «**إيّاكم والكذب؛ فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار**»[٣].

كما أن الآية تدلّ بشكل واضح على حرمة الكذب؛ لأنّ الويل ـ كما تقدّم ـ إمّا وادٍ في جهنّم أو كلمة يُتلقّى بها الكفّار؛ وعلى هذا الأساس فالكذّاب يستحقّ ما يستحقّه الكافر، أو يستحقّ وادياً في جهنّم، وفي كلا الحالين هو يستحقّ العقوبة والعذاب؛ وينبغي الالتفات إلى أنّ المعلوم منها على وجه اليقين حرمة خصوص الإفك من الكذب؛ وهو ما كان عظيماً.

٣ـ الكذب وقول الزور

الزور ـ كما تقدّم ـ بمعنى الميل والعدول؛ ولهذا هو يُطلق على الباطل والتهمة؛ لأنّهما ميل وعدول عن الحقّ والإنصاف، وحيث إنّ الكذب بمعنى تزييف الحقيقة وتزويرها، والإخبار على خلاف الواقع كان الكذب من أفراد قول الزور؛ لأنّه كلام مخالف للحقيقة والواقع وبعيد عن الصواب، قال الله

---

(١) أُنظر: المصدر السابق.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٣.

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمّد، مسند أحمد :ج١، ص٤٣٢.

تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1]، فقد جاء في تفسير ذلك: أنّ المقصود من الزور في الآية الكريمة هو الكذب بوحده، أو الكذب مع سائر الكلام المُلهي[2]، بما يشمل الغناء والكلام الباطل الذي لا فائدة منه؛ فالآية تأمر بالابتعاد عن الكذب، أو عن كلّ كلام يُلهي الإنسان عمّا ينفعه ويُفيده؛ ومن جملة الكلام الذي لا ينفع الإنسان ـ بل يضرّه ـ هو الكذب.

والآية الكريمة قد أمرت باجتناب الكذب، وهو تعبير آخر عن حرمته والنهي عنه، والملاحظة الجديرة بالاهتمام أنّ الآية قد عبّرت عن الكذب بـ (قول الزور)، ولم تقل: اجتنبوا الكذب، لعلّ ذلك لجلب النظر إلى الآثار السيّئة التي يُخلّفها الكذب؛ فهو يزوّر الحقائق، ويميل بها عن الحق؛ فتضيع بذلك حقوق الناس، وسيأتي لاحقاً الحديث عن شهادة الزور وتأثيراتها الضارة.

ومن الواضح أنّ الآية لا تتحدّث عن نوعٍ معيّن من الكذب، وإنّما تتحدّث عن مطلق الكذب؛ فهي تصف الكذب بقول الزور، سواء كان كذباً على الله ورسوله أو على سائر الناس؛ فكلّ ذلك من قول الزور.

---

(١) الحج: آية ٣٠.

(٢) المقدّس الأردبيلي، أحمد بن محمّد، زبدة البيان في أحكام القرآن: ص٢٢٩.

البحث الثاني : حرمة الكذب في النصوص الروائية

تحدّث النبي الأكرمﷺ وأهل البيتعليهم السلام كثيراً عن الكذب، وفي مجالات مختلفة منه؛ حيث تحدثّوا عن حرمته، وأنّه من المعاصي الكبيرة، وتحدّثوا عن مساوئه وأضراره والآثار الناجمة عنه، وتحدّثوا عن عاقبة صاحبه ونهايته المأساويّة، وتحدّثوا عن نواحٍ أُخرى كثيرة، كلّ ذلك لتنفير المجتمع وإبعاده من هذا الخُلق الذميم، الذي يُعدّ آفة اجتماعية خطيرة؛ لما له من تداعيات تنعكس على الفرد وعلى الجماعة، وسنتحدّث عن هذه النواحي بحسب مواضعها وأماكنها المناسبة، وفي هذا المقام سنتناول بعض الروايات التي يُستفاد منها حرمة الكذب، والحديث عنها سيكون وفق العناوين التالية:

١ـ الملازمة بين الكذب وعدم الإيمان

هناك علاقة وثيقة بين الكذب وعدم الإيمان، وبين الصدق والإيمان، تحدّثت عنها الروايات، وكشفت عن طبيعتها، فأوّل ما يُطالعنا في هذا المعنى ما رُوي عن أبي جعفر الباقرعليه السلام أنّه قال: «**إنَّ الكذب هو خراب الإيمان**»[1].

ولنا أن نتساءل، كيف يمكن أن يكون الكذب سبباً في خراب الإيمان؟

ولكي تتّضح الإجابة؛ علينا أوّلاً أن نعرف معنى الإيمان، وأنّه: «**إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان**»[2]، فشرط الإيمان أن يتطابق

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٥٠.

(٢) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ص١٧٩.

اللسان والقلب والعمل، والكذب ـ على ما تقدّم ـ إنّما هو الإخبار على خلاف الحقيقة، فليس هناك تطابق بين اللسان والقلب؛ وهذا يتنافى مع الإيمان، فالشخص يتشهّد الشهادتين، ولكنّه ليس كذلك في قلبه ووجدانه، هذا إذا نظرنا إلى إيمان الكاذب نفسه، وأمّا لو لاحظنا تأثير الكذب على إيمان الناس بشكل عام؛ لوجدنا أنّ الكذب من الأمراض التي تؤثّر على إيمان الناس وسلامة عقيدتهم، فإنّ الذي يكذب على الله ورسوله وأهل البيت عليهم السلام، فيروي عنهم خلاف الحقيقة، وينسب إليهم ما لم يقولوا، ثمّ يصدّقه الناس، فإن ذلك حتماً سيؤثّر سلباً في إيمانهم؛ لأنّهم سيرتكبون المخالفة، ويقعون ضحيّة الشبهات والشكوك.

وبكلمة أُخرى: إنّ الهدف من الإيمان هو الاستقامة بتطبيق الشريعة، ومع انتشار الكذب على الله سبحانه والنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام؛ أي: (المشرّع)، يمتنع تطبيقها بالشكل الصحيح؛ لتصديق بعض الناس بالكذّابين، وبالتالي تذهب فائدة الإيمان، وهو مصداق (خراب الإيمان).

ومن أجل هذا؛ لا يجتمع الإيمان مع الكذب، كما صرّح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حينما سُئل: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «**نعم**»، قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: «**نعم**»، قيل: ويكون كذّاباً؟ قال: «**لا**»[1].

---

(١) البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن :ج١، ص١١٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا فاصدقوا إنّ الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب؛ فإنّه يجانب الإيمان، ألا وإنّ الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا إنّ الكاذب على شفا مخزاة وهلكة**»(١).

فإذا كان الكذب يتنافى مع الإيمان، ويُخرج صاحبه عن حدوده ودائرته؛ فهو ـ بلا شكٍّ ـ حرام، وغير جائز في الشريعة.

فالمستفاد من هذه الرواية حرمة الكذب بشكل مطلق، وفي جميع صوره وأشكاله، إلاّ ما سوف يتمّ استثناؤه لاحقاً.

٢ـ العلاقة بين الكذب وشرب الخمر

نتلمّس في الأحاديث وجود مقارنة بين الكذب وشرب الخمر، وأنّ الكذب أسوأ منه وأكثر ضرراً وخطورةً على الفرد والمجتمع، فعلى الرغم من خطورة شرب الخمر وآثاره المدمّرة الصحّيّة والأخلاقيّة إلا أنّنا نجد في الأحاديث ما يؤكّد أنّ الكذب أشدّ خطراً منه، ويبدو أنّ عقد هذه المقارنة بينه وبين شرب الخمر، وتأكيد الأحاديث على خطورته؛ إنّما لتحذير الناس وانتشالهم من غفلتهم عن هذا الأمر الخطير، فإنّ الناس يتساهلون في أمر الكذب أكثر من تساهلهم في شرب الخمر؛ وهذا ممّا يستدعي التنبيه عليه، وفي هذا المجال روى ثقة الإسلام الكليني، بسنده عن محمّد بن مسلم، عن أبي

---

(١) الصدوق ، محمّد بن علي، من لا يحضره الفقيه :ج١، ص٢٠٥.

جعفر عليه السلام قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب**»[١].

ومعنى الأقفال في هذا الحديث: هي الموانع والحواجز التي تمنع من انتشار الشرّ واتّساعه، ومن أهم هذه الموانع هي العقل؛ فإنّه القوّة التي تمنع الإنسان من ارتكاب الشرور والآثام، ومن الواضح أنّ الشراب يزيل العقل، ويمنعه من ممارسة دوره، فتنفتح أبواب الشرّ على مصراعيها، والرواية الشريفة تفيد أنّ الكذب شرٌّ من الشراب وأشدّ منه. والسؤال يبقى: كيف للكذب أن يكون أكثر شرّاً من الشراب (الخمر)؟

وفي مقام الإجابة يمكننا ذكر احتمالات عدّة، ولعلّها جميعها مقصودة في كلام الإمام عليه السلام:

الأوّل: إنّ الشراب يُذهب العقل، فتنتشر على إثره الشرور، ويُترك لها العنان دون رادع أو مانع، والكذب يرفع الصدق، وزوال الصدق عن المجتمع أشدّ خطراً من زوال العقل؛ لأنّ الذي يشرب الخمر يفقد عقله ووعيه فترة السُّكْر، ثمّ يعود إليه؛ بينما إذا زال الصدق من المجتمع حلّ محله الشكّ والتهمة، وحتى لو صدق الكاذب لا يصدّقه أحد على حدّ تعبير الرواية المرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام والقائلة: «**ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذّاب؛ فإنّه يكذب حتّى يجيء بالصدق فلا يُصدَّق**»[٢].

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٣٨ـ ٣٣٩.
(٢) المصدر السابق :ج٢، ص٣٤١.

الثاني: لعلّ الملحوظ في الرواية أنّ النتيجة واحدة، سواء في الشراب (الخمر) أو الكذب، وهي انتشار الشرّ، ولكن في الشراب ينتشر الشرُّ بدون اختيار؛ بينما في الكذب ينتشر بالاختيار والإرادة، فالشخص الذي يكذب، إنّما يكذب بكامل إرادته واختياره، وبكامل قواه العقليّة، وما كان انتشاره بالاختيار والإرادة، لا بالقهر والغلبة؛ يكون أسوأ وأكثر إجراماً وخطراً؛ لأنّ صاحبه يكون على علم بما يفعله، ويُدرك النتائج التي ستـؤول إليه.

الثالث: يمكن أن يعود الأمر إلى أنّ ضرر الكذب أوسع من ضرر الشراب وأشمل، فإنّ ضرر الشراب محدود بالقياس لضرر الكذب؛ إذ المخمور قد يزني، أو يقتل شخصاً؛ بينما الكذّاب قد يُهلك أو يُضرّ بالآلاف إذا ما صدّق الناس كذبه، فلو كذّب مُدّعي العلم وأباح دماء الناس؛ لمارس القتلَ الجمعُ الكثير من أتباعه، كما أنه لو أباح الفروج؛ لمارس ذلك عددٌ كبير من الناس؛ بينما شارب الخمر لا يُمارس الشرّ إلّا هو لوحده أو ضمن عدد قليل ومحدود. ولا شكّ في أنّ شرب الخمر من الكبائر، فلا بدّ أن يكون الكذب منها أيضاً؛ لأنّه أشدّ وأشرّ.

٣ـ بِمَ يهلك الكاذب؟

لا يستطيع الكذّاب أن يُخفي الحقائق عن الآخرين طويلاً؛ إذ لا بدّ أن ينكشف الأمر في يوم من الأيّام، ولا بدّ أن يُفتضح في نهاية المطاف، سواء هو مَن يقوم بكشف الحقيقة أو غيره من الناس، وإذا استطاع أن يُخفي الحقيقة

طوال الحياة، فلا يستطيع أن يُخفيها يوم الحساب؛ فإنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية، وفي كلّ الأحول ستتمّ محاسبته على كلّ كذبة قد اقترفها، فالكذب كما يُقال: حبله قصير؛ أي: سرعان ما ينكشف صاحبه، وتقوم عليه الحجّة والبيّنة؛ وعلى هذا فهو محجوج، وفي هذا المعنى روى الكليني في الكافي بسنده عن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنَّ الكذّاب يَهلِك بالبيّنات، ويَهلِك أتباعُه بالشبهات**»[1].

فإذا فسّرنا البيّنة بمعناها الشرعي، وهي شهادة العدلين؛ يكون المقصود: أنّ الكذّاب يهلك بشهادة الشهود العدول، أو بإقراره على نفسه بين يديّ الله تعالى.

ومن خلال الحديث الوارد عن أبي جعفر عليه السلام: «**إنّ أوّل مَن يكذّب الكذّاب اللهُ عزّ وجلّ، ثمّ الملكان اللذان معه، ثمّ هو يعلم أنّه كاذب**»[2]. نعرف أنّ الشهود الذين يشهدون على كذبه هم: الله سبحانه وتعالى، والملائكة المكلّفون بكتابة أعماله، وهو أيضاً يعلم بأنّه كذّاب.

وأمّا إذا لم يكن المقصود البيّنة الشرعيّة، وإنّما المراد الحجّة والدليل؛ فيكون المعنى: أن الكذّاب يهلك بسبب قيام الحجّة عليه، وثبوت الدليل المُثبت لكذبه وبطلان قوله؛ فيهلك بذلك.

وأمّا أتباعه والمغرّر بهم، فإنّهم يهلكون بسبب الشبهات التي وقعوا بها؛ لأنّهم صدّقوا قوله، وآمنوا به؛ فهم هالكون أيضاً، ولكنّهم يتفاوتون في سبب الهلاك.

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٥١.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٩.

ومعنى الهلاك: أنّ البيّنات والحجج التي تقوم على الكذّاب؛ ستكون سبباً في عقوبته وعذابه، والشبهات التي وقع بها أتباعه؛ ستكون سبباً في نهايتهم المؤلمة، وهي العذاب في الآخرة.

والرواية الشريفة تُريد أن تحمّل المتلقّي مسؤوليّة ما يسمع من الناس، وأنّه ليس من الصحيح أن يصدّق بكلّ ما يسمع، مهما كان شكل القائل وشأنه، ومهما تزيّى بزيٍّ، ومهما كان حسبه ونسبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1]، فليس من الصحيح أن نصدّق بكلّ قائل ما لم يحصل عندنا علمٌ بصدق ما يقول وبصحّته؛ فإنّنا سوف نُسأل يوم القيامة عن ذلك، ولنا عودة إلى هذه النقطة إن شاء الله تعالى.

والمهمّ، فإنّ الرواية قد استخدمت لفظ (الهلاك)؛ وذلك للتنبيه على سوء العاقبة التي تنتظر الكذّاب ومَن يصدّقه؛ ممّا يؤكّد حرمة الكذب وقباحته.

٤ـ أربى الربا الكذب

من الأساليب الرائجة في الروايات عقد مقارنة بين أمرين محرّمين، أحدهما يتجنّبه الكثير من المؤمنين ويبتعدون عنه، وثانيهما لا يتجنّبه أكثرهم، بل يرتكبه الكثير منهم ويمارسونه بكثرة، ثمّ تُبيّن الرواية من خلال المقارنة أنّ ما يتسامحون به ويرتكبونه بكثرة أشدّ حرمةً وسوءاً من الآخر، كما في مثل

---

(١) الإسراء: آية٣٦.

الغيبة والزنا، فإنّ من الواضح أنّ المؤمنين يتنفّرون من الزنا ويجتنبونه أكثر من اجتنابهم للغيبة؛ فإنّهم يتسامحون في ارتكابها بكثرة، بينما في الحديث عن النبيّ الأكرمﷺ: «**الغيبة أشدّ من الزنا، فقيل: يا رسول الله ولِمَ ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتّى يكون صاحبُه الذي يُحلُّه**»[1]، والهدف من هذا الأُسلوب هو تنفير الناس من مذامّ الأخلاق، لا سيّما الخطرة منها، وأنّ من الخطأ الجسيم التسامح في مخالفة الشريعة وعدم الاكتراث ببعض المعاصي؛ فإنّه قد يُوقع الإنسان فيما هو أشدّ ممّا يحرص على اجتنابه، وفي هذا الإطار ما رُوي عن النبي الأكرمﷺ أنّه قال: «**أربى الربا الكذب**»[2]، إذ من الواضح أنّ الربا من المحرّمات الكبيرة، والذي تترتّب عليه مفاسد كثيرة؛ فإنّه يُقوّض الاقتصاد الإسلامي، ويُربك العمل التجاري، والكذب لا يقلّ عنه خطورة وضرراً، فقد تفوق مساوئه مساوئ الربا، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما علاقة الربا بالكذب، ليكون الكذب أربى الربا؛ أي: أسوأ درجاته وأشدها؟

ذُكرت في هذا الصدد عدّة إجابات، نذكر من بينها التالي:

١ـ إنّ الله تعالى كما يَمْحق الربا؛ أي: يُنقص خيره ويُذهب ببركته، فإنّه يمحق الكذب أيضاً، وما يحصل من الكذب من النقص وذهاب الخير أشدّ ممّا يذهب بالربا.

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ص٦٣.

(٢) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٧٧.

٢ـ إنّ عقاب الكذب أشدّ وأفظع من عقاب الربا.

٣ـ إنّ ما يحصل من الربا بحسب الظاهر هو كثرة المال، وأمّا في الواقع فإنّ ما يحصل هو نقصان الدين وخسارته؛ فلم يحصل للمُرابي شيء في نهاية الأمر، بل قد خسر بدل أن يربح، وهذا المعنى أظهر في الكذب؛ لأنّه لا حقيقة له[١].

٤ـ إنّ الربا في معناه اللغوي هو الزيادة والنموّ[٢]، فيكون معنى الحديث: أنْ لا معصية تنمو من حيث العقاب والعذاب كما ينمو معها عقاب الكذب؛ فهو يفوق بقيّة المعاصي عذاباً وعقاباً [٣]. ويمكن أن نقول بشكل أوضح: إنّ الكذب يختلف عن بقيّة الذنوب بأنّ عقابه يزداد وينمو بسبب ما ينتج عن الكذب من ازدياد المعاصي ونموّ الذنوب؛ فلو كذب الشخص كذبة فإنّ آثارها ستزداد كلّما ازداد انتشارها بين الناس، وبالتالي سيزداد عقابه بسبب ذلك.

٥ـ يمكن أن يكون المقصود هو المعنى التالي: إنّنا لو تأمّلنا في موضوع الربا قليلاً لوجدناه المال؛ أي: عالم التجارة والسوق، البيع والشراء، والقرض، ونحو ذلك، ومن الواضح أنّ الكذب هو الرائج في الأساليب التي يعتمدها معظم المتعاملين لتحصيل الأرباح والفوائد، فموطن الربا السوق، وهو أيضاً من المواطن المهمّة للكذب؛ حيث ينتشر فيه الكذب بشكل مفرط، فالبائع يكذب لتحصيل زيادة في الربح، وبما أنّ معنى الربا هو الزيادة، فالمُرابي

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمّد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج١٣، ص٧.

(٢) قال الفراهيدي: «وربا المال يربو في الربا؛ أي : يزداد». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين:ج٨، ص٢٨٣.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار:ج٢١، ص٢١٧.

يطلب الزيادة به، كذلك البائع الكذّاب، فإنّه يطلب الزيادة؛ ومن هنا فهما شيء واحد بحسب الغاية التي تُرجى منهما؛ فالربا طلب الزيادة بغير حق، والكذب طلب للزيادة بغير حقٍّ أيضاً، إلاّ أنَّ النبي الأكرمﷺ عدّ الكذب أسوأ مراتب الربا.

إذن؛ فالبائع يطلب الزيادة على كلّ حال، ولكنّه تارةً يستعين لتحقيقها بالربا، وأُخرى يستعين بالكذب؛ فكلاهما يؤدّيان نفس الغرض.

وإذا كان الكذب من أسوأ درجات الربا، وأشدّ مراتبه؛ فهو حرام بلا شكّ، ويستحقّ صاحبه النار والعذاب.

٥ـ الكذب والخبائث

الخبائث في معناها العام: هي «**الأفعال المذمومة والخصال الرديئة**»[١]، فالقتل والسرقة والزنا والربا ونحوها من الأفعال القبيحة؛ تدخل تحت عنوان الخبائث، والبخل وسوء الخُلق وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم وأمثالها من الخصال الرديئة؛ تدخل ـ أيضاً ـ في هذا العنوان، ونستطيع القول: إنّ الخبائث هي كلّ مخالفة دينيّة وأخلاقيّة؛ وعلى هذا الأساس فالكذب داخل في عنوان الخبائث بلا شكٍّ، ولكنّ الإمام العسكريعليه السلام قد عدّه مفتاحها، حيث قال: «**جُعلت الخبائث في بيت، وجُعل مفتاحه الكذب**»[٢]، ولكي يتّضح معناه بشكلٍ جليٍّ؛ علينا أن نقرأ هذه الحادثة: رُوي أنّ رجلاً قال

---

(١) ابن الأثير، المبارك بن محمّد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٣.

للنبيّ ﷺ: أنا يا رسول الله أستسرُّ بخِلالٍ أربع: الزّنا، وشرب الخمر، والسَّرِق، والكذب، فأيّتهنّ شئتَ تركتُها لك. قال: «**دع الكذب**»، فلمّا ولّى همّ بالزنا، فقال: يسألني، فإن جحدتُ نقضتُ ما جعلت له، وإن أقررت حُددِتُ، ثمّ همّ بالسَّرِق، ثمّ بشرب الخمر ففكّر في مثل ذلك، فرجع إليه، فقال: قد أخذت عليّ السبيل كُلَّه، فقد تركتُهُنّ أجمع[1].

فالكذب غطاء تختبئ تحته كلّ الذنوب والموبقات، فإنّ الكاذب يستطيع من خلال الكذب أن يُخفي كلّ جرائمه وسلبيّاته، فهو يزني ويسرق ويقتل ويأكل الحرام و... ولا يعلم به أحد؛ لأنّه يستطيع أن يكذب فيما لو سُئل، ولكنّه لو ترك الكذب، وكان صريحاً مع الآخرين لا يستطيع أن يُخفي هذا السلوك المشين، وبالتالي سيوقع نفسه في الحرج، وتحت طائلة المسؤولية الاجتماعية، وحينئذٍ سيضطر لترك هذه السلوكيات؛ لأنها ستسبب له المشاكل.

---

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج٦، ص٣٥٨. الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج٤، ص٣٣٩-٣٤٠.

الفصل الثالث : أنواع الكذب

الفصل الثالث : أنواع الكذب

للكذب عدّة أنواع، تختلف باختلاف درجاته ومستوياته شدّةً وضعفاً، فهناك الكذب على الله ورسوله وأهل البيت عليهم السلام؛ وهو من أشدِّ أنواعه، وأسوأ درجاته، وله آثار خطيرة وعواقب وخيمة، وهناك الكذب في الشهادة؛ وهو ما يعبّر عنه بـ (شهادة الزور)، وهو أسوأ من الكذب على الناس في القضايا العاديّة؛ لأنّه يتسبّب في ضياع الحقوق والأموال وانتهاك الأعراض، وهناك أنواع أُخرى سنتعرّض لها فيما يلي، والذي نريد قوله: إنَّ درجات الكذب مختلفة، وهي تتفاوت شدّةً وضعفاً بحسب نوع القضية المُخبر بها، وأنواعه بحسب الشدّة والضعف هي:

١ـ الكذب على الله ورسوله وأهل البيت

ينبغي الالتفات في البداية إلى أنّ المراد من الكذب على الله عز وجل ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام؛ هو التقوّل والافتراء عليهم، فالكذّاب ينسب إليهم ما لم يقولوا كذباً وافتراءً؛ وبهذا يختلف عن الكذب على الناس؛ فإنّ الكذب على الناس منه ما يكون افتراءً ومنه ما لا يكون كذلك، كالذي يُخبرهم بخلاف الحقيقة كذباً وزوراً.

ولخطورة هذا النوع من الكذب فإن معظم الآيات التي تحدّثت عن الكذب هي تتحدّث عن هذا النوع كما هو واضح لمَن يراجع الآيات الكريمة،

وهذا لا يعني أن الكذب في غير هذا النوع ليس قبيحاً ومحرّماً؛ كلّا، ليس الأمر كذلك، وإنّما يعني أنّ هذا النوع هو من أخطرها وأسوأها؛ لأنّه مرتبط بعقيدة الإنسان وإيمانه ودينه، ومن المعلوم أنّ العقيدة هي أشرف وأهمّ ما يملكه الإنسان، وبنفس المستوى من الاهتمام تحدثّت الروايات الشريفة عن هذا النوع، الذي شكّل ـ ولا زال ـ خطورة كبيرة على التشريع الإسلامي، وأصالته، وثوابته، وقد وقع ـ للأسف ـ كثير من المسلمين ضحيّة هذا النوع من الكذب، فانحرفوا عن المسار الصحيح، وجانبوا الحقيقة، وضلّوا ضلالاً مبيناً.

وقد تعرّض القرآن الكريم إلى نماذج من أكاذيب الكفّار والمشركين وافتراءاتهم على الله تعالى ورُسله، وحذّر منها؛ لما لها من تداعيات خطيرة على العقيدة والرسالات السماوية.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1].

فالقرآن الكريم بعد أن بيّن للناس أحكام الشريعة بحرامها وحلالها؛ حذّر المخالفين لأمره، الذين يحرّمون ويحلّلون بحسب أهوائهم، حذّرهم من مغبّة ذلك، وتبعاته؛ فإنّهم قد حلّلوا الميتة، وحرّموا السائبة[2].

---

(١) النحل: آية١١٦.

(٢) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٦، ص٢٠٧.

قال الشيخ محمّد جواد مغنية في تفسير هذه الآية: «**كان أهل الجاهلية يحلّلون ويحرّمون من عند أنفسهم، وينسبون ذلك إلى الله تعالى، من ذلك أنّهم كانوا يحلّلون الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أُهِلّ لغير الله، ويقولون ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا، وما إلى ذلك ممّا ذُكر في سورة الأنعام الآية ١٣٧**[1] **وما بعدها، فنهاهم الله سبحانه عن هذا، وقال هو كذب وافتراء: ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، وكلّ مَن أسند إلى الله حكماً أو قولاً أو أيّ شيء من غير دليل قاطع؛ فقد افترى على الله الكذب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، كيف وقد غضب الله عليهم وأعدّ لهم عذاباً أليماً؟! ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[2]**، وكلّ منافع الدنيا لا تعدل أيسر عذاب من عذاب الآخرة، فكيف إذا كان أليماً عظيماً؟! ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾**[3]**...**»[4].

إنّ هذا النوع هو أخطر ما تعرّضت له الرسالات السماويّة؛ حيث يتصدّى جماعة من المناوئين لخطّ الرسالة إلى تزييف الأحكام وتغييرها، وبالتالي تحريف تلك الشريعة وإفراغها من محتواها، كما حصل مع اليهود والنصارى في تحريفهم للتوراة والإنجيل، وقد تعرّض القرآن الكريم إلى هذه

---

(١) ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. الأنعام: آية١٣٧.

(٢) النحل: آية١١٧.

(٣) لقمان: آية ٢٣.

(٤) مغنية، محمّد جواد، التفسير الكاشف: ج٤، ص٥٦٠.

الظاهرة في عدّة آيات من آياته الكريمة، وقد أكدّ على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل بشكل مطلق، كما قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، فهم يسمعون كلام الله تعالى، ويعقلونه، ولكنّهم يتعمدون تحريفه عن علم ومعرفة؛ والتحريف يشمل تأويله عن معناه الحقيقي، ولعلّ هذا المعنى يبدو واضحاً في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[2]، فإنّ التعبير بـ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يشمل صورة التأويل والتفسير المغاير للمعنى الحقيقي، ولم يقتصر عملهم على التحريف وقلب الحقائق فقط، وإنّما كانوا أيضاً يكتمون بعض الآيات: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[3]، وفي آية أُخرى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]، وفي هاتين الآيتين شهادة صريحة على العمل الذي كانوا يقومون به، وهو كتمان بعض الحقّ؛ لأنّه لا يوافق أهواءهم وغاياتهم، ولم يكتفوا بهذا

---

(١) البقرة: آية٧٥.
(٢) المائدة: آية١٣.
(٣) الأنعام: ٩١.
(٤) البقرة: ١٤٦.

فقط، بل عمدوا إلى الزيادة في الكتب المقدّسة، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال عزّ من قائل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2]، [3].

فهؤلاء الكذّابون يتلخّص عملهم بما يلي:

١ـ تأويل النص بما يؤدّي إلى صرفه عن معناه المراد.

٢ـ كتمان بعض النصوص التي لا تُوافق أهواءهم.

٣ـ الزيادة في النصوص، واختلاق آيات من عند أنفسهم.

وهذا العمل لا يمكن أن يقوم به إنسان عاديّ ما لم يكن على جانب من العلم والمعرفة، والآيات تؤكّد من خلال التعبير بـ (يعلمون) و(عقلوه) أنّهم كانوا من العلماء.

---

(١) آل عمران: ٧٨.

(٢) البقرة: ٧٩.

(٣) استفدنا هذا العرض للآيات القرآنيّة من مقال منشور على موقع (الإسلام سؤال وجواب) المشرف العام: الشيخ محمد صالح المنجد، تحت عنوان: (هل في القرآن ما يدلّ على أنّ الإنجيل لم يحرّف؟)، تاريخ النشر: ٢٣/ ٦/ ٢٠١٣. https://islamqa.info/ar/answers

ظاهرة الوضع في الحديث

رافقت ظاهرة الوضع في الحديث المسيرة الإسلاميّة منذ بداياتها، وكانت ـ وما تزال ـ تشكّل تهديداً حقيقياً لهذه المسيرة؛ لما تنطوي عليه من تزييف وتضليل وخِداع، حتّى أنّ النبيّ الأكرمﷺ قد حذّر منها مراراً وتكراراً، وكان يقولﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّار**»(١)، وقد استمرّت هذه الظاهرة في الازدياد والانتشار في عصور الأئمّةعليهم السلام، حتّى كثرت الأحاديث الموضوعة؛ ممّا دعا أئمّة أهل البيتعليهم السلام إلى التحذير منها والتأكيد على مخاطرها، ووضع ضوابط لكشفها ومعرفتها، ولأنّ ظاهرة الدسّ والوضع لا يمكن اكتشافها بسهولة؛ لأنّ الذين دسّوها ووضعوها كانوا يمتلكون دهاءً وذكاءً كبيرين؛ ممّا اضطرّ أئمّة أهل البيتعليهم السلام أن يصرّحوا ببعض أُولئك الكذّابين، فهذا هشام بن الحكم سمع الإمام الصادقعليه السلام يقول: «**لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي، فاتّقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّناﷺ، فإنّا إذا حدثنا، قلنا: قال الله عزّ وجلّ، وقال رسول اللهﷺ**»(٢).

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام عليعليه السلام، ص٣٢٥، تحقيق صبحي الصالح.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٤٨٩.

كما أن يونس بن عبد الرحمن ينقل لنا عن الإمام الرضاعليه السلام قوله: «**إنّ أبا الخطّاب كذب على أبي عبد الله**عليه السلام**، لعن الله أبا الخطّاب، وكذلك أصحاب أبي الخطّاب يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله**عليه السلام**، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنّا إن تحدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنّة، إنّا عن الله وعن رسوله نُحدّث ...**»[1].

ولأهميّة هذا الموضوع حذّر أهل البيتعليهم السلام من الكذب المُفتَرَع، ففي الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام يقول: «**إيّاكم والكذب المفترع! قيل له: وما الكذب المفترع؟ قال: أن يحدّثك الرجل بالحديث، فتتركه وترويه عن الذي حدّثك عنه**»[2]، فلو أخبرك أبوك بخبر عن جدّك، وأنت نقلت الخبر إلى ابنك، وقلت له: أخبرني جدّي ـ فحذفت الواسطة وهي أبوك ـ فهذا هو الكذب المفترع، الذي يحذّر منه الإمام الصادقعليه السلام؛ ممّا يؤكّد على ضرورة تحرّي الدقّة في نقل الأخبار ونسبتها إلى أصحابها، فليس من الصحيح أن تنقل حديثاً عن الأئمّةعليهم السلام دون أن تنقل السند والراوي الذي روى الحديث؛ ليعرف السامع قيمة الراوي من حيث الوثاقة والعدالة، ويتجنّب الإنسان رواية الحديث المكذوب، فإن الحديث لو كان مكذوباً وكنتُ قد رويته عن راويه الأصلي، فإنّني لا أتحمّل مضمون الحديث من حيث الصدق والكذب، وإنّما يتحمّل ذلك نفس الراوي الذي رويت عنه؛ بينما لو لم أروه عن راويه الذي سمعت

---

(١) المصدر السابق: ص٤٩٠.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥٢.

منه، وإنّما رويته عن الإمام المعصوم عليه السلام أو الراوي القريب من عصره، وكان الحديث مكذوباً؛ فأنني حينئذٍ سأتحمّل نتائج ذلك.

ولم تقتصر ظاهرة الدسّ على جانب من جوانب الشريعة، فقد طالت العقائد والفروع والأخلاق والتاريخ وكلّ ما له علاقة بالشريعة الإسلامية؛ ففي جميع هذه الحقول تجد كمّاً هائلاً من الأحاديث الموضوعة والروايات المكذوبة، والقصص والحوادث المختلقة؛ ممّا اقتضى أن يتصدّى الأعلام ـ تبعاً للائمّة عليهم السلام ـ إلى تأليف الكتب الرجاليّة والروائيّة؛ من أجل تمييز الرواة والأحاديث المعتبرة عن غيرها، وقد بُذلت في هذا الميدان جهود كبيرة.

الخلاصة:

إنّ ظاهرة الكذب على الله ورسوله وأهل البيت من أخطر ما يواجه المجتمع في كل زمان؛ لأنّها تهدّد العقيدة والإيمان؛ ولذا يلزم المؤمن أن يتحرّى عن مصدر المعلومة التي يسمعها، وأن لا ينقل كلّ ما سمع، فربّما يكون ما نقله كذباً، فيشارك في نشره، كما يلزمه أن لا يُصدّق بكلّ قائل، فربّما كان كاذباً له غايات ومقاصد، فعليه التأكد مما يسمعه والتحري لمعرفة وثاقة القائل، والاعتماد على نقل أهل الخبرة والاختصاص؛ فإنّ لكلّ علم أصحاب اختصاص وخبرة، لا يصحّ تجاوزهم.

٢ـ الوعد الكاذب

في البداية يلزمنا أن نعرف معنى الوعد، وما هي حقيقته، وما هي أقسامه؛ كي يتسنّى لنا معرفة ما إذا كان من أنواع الكذب، وكيف يتّصف بأنّه وعد كاذب أو وعد صادق؟

ينبغي الالتفات إلى أنّ الوعد يتضمّن أمرين؛ الأوّل: جملة الوعد؛ أيّ: الكلام الصادر من المتكلّم حين الوعد، والثاني: الالتزام بالوعد والوفاء به؛ وبملاحظة هذين الأمرين ينقسم الوعد إلى الأقسام التالية:

القسم الأوّل: أن يُخبر المتكلّم عن عزمه على فعلٍ معيّن، كأن يقول مثلاً: إنّي عازم على بناء مستشفى لعلاج الفقراء والمحتاجين. أو يقول: إنّي مُقدم على تزويج الشباب غير القادرين على الزواج مادّيّاً. وهكذا، وفي مثل هذه الحالة، إن كان صادقاً حين الإخبار على عزمه ونيّته؛ فهو صادق، حتّى لو لم يفِ بعد ذلك بوعده، لعذر من الأعذار، كما لو عجز مادّيّاً عن الوفاء بما أخبر به وعزم عليه، وأمّا إذا لم يكن صادقاً في إخباره من أوّل الأمر، بل كان يُضمر في نفسه عدم الوفاء؛ فهو كاذب في ما أخبر به.

القسم الثاني: أن يُنشئ المتكلّم بنفس الكلام التزامه بفعل أو بترك؛ وذلك مثل العهد والنذر، كأن يقول ـ مخاطباً طلبة الكليّات والجامعات ـ: لكم عليّ أن أدفع أجوركم الدراسيّة. أو لكم عليّ أن أُوفّر وسائل نقلكم. أو يقول: أُعاهد الله أن أختم القرآن في كلّ عام مرّة، والفرق بين هذا القسم وبين سابقه، أنّ الوعد في القسم السابق كان عبارة عن إخبار عمّا عزم ونوى، وأمّا في هذا القسم، فليس هناك إخبار وإنّما إنشاء فالذي يقول: لله عليّ أن أرعى الأيتام.

لا يُوصَف كلامه بالصدق أو الكذب؛ لأنّه لا يُخبر، وإنّما يُنشئ، ومعلوم أنّ مجرّد الإنشاء لا يتّصف بالصدق أو الكذب، نعم، يمكن أن يتّصف بالكذب في مرحلة الوفاء بالنذر أو العهد، فلو لم يفِ بعد ذلك بما أنشأه؛ فهو كاذب في وفائه والتزامه.

القسم الثالث: أن يُخبر المتكلّم عن الوفاء بأمرٍ مستقبليٍّ، ويكون حين الإخبار صادقاً في عزمه ونيّته، فيقول مثلاً: سأُعطيك المال الذي تحتاجه، أو سآتيك غداً. وغير ذلك من الوعود، ولكنّه عند حلول وقت الوفاء يتراخى ويتراجع ويتردّد، فيكون كاذباً في وفائه حين مجيء وقت الوفاء، وبهذا يختلف عن القسم الأوّل؛ إذ في القسم الأول كان الكذب والصدق وصفاً لنفس النيّة والعزم؛ أي: حين صدور الكلام منه، بينما في هذا القسم الكذب والصدق يكونان وصفين له حين وقت الوفاء، وفرقه عن الثاني واضح؛ لأنّ المفروض في الثاني أن الكلام الصادر منه إنشاء وليس إخباراً[1].

إذن؛ خُلف الوعد هو نقض الالتزام، وترك الوعد أو عدم إتمامه، مع تمكّنه وقدرته على الإتمام.

وقد وصف الكتاب العزيز المخالفين للوعد والعهد بأنّهم كاذبون، ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[2].

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج١، ص٥٩٩-٦٠٠، بتصرّف.
(٢) التوبة: آية٧٥ـ٧٧.

وقد ذُكرت في سبب نزول هذه الآيات قصّة لطيفة، فيها عبرة وحكمة، حيث يُروى أنّ رجلاً من الأنصار يُدعى ثعلبة بن حاطب، وكان رجلاً فقيراً يأتي إلى المسجد دائماً ويتواجد فيه، وكان يصرّ على النبيّ صلى الله عليه وآله أن يدعو له بأن يرزقه الله مالاً وفيراً، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «**قليل تؤدّي شكرَه خير من كثير لا تُطيقُه**»، أوَ ليس الأوْلى لك أن تتأسّى بنبيّ الله صلى الله عليه وآله، وتحيا حياةً بسيطة وتقنع بها؟ لكن ثعلبة لم يكُفَّ ولم يصرف النظر عن أمله، وأخيراً قال للنبي صلى الله عليه وآله: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً، لئن رزقني الله لأُعطينّ كلّ الحقوق وأؤدّي كلّ الواجبات، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله.

فلم يمضِ زمان (وعلى رواية حتّى تُوفّي ابن عمٍّ له، وكان غنيّاً جدّاً) حتّى وصلت إليه ثروة عظيمة[1]؛ فألهته أمواله عن حضور الجماعة، بل وحتى الجمعة.

وبعد مدّة أرسل النبي صلى الله عليه وآله عاملاً إلى ثعلبة ليأخذ الزكاة منه، غير أنّ هذا الرجل البخيل الذي عاش لتوّه حياة الرفاه امتنع من أداء حقوق الله تعالى، ولم يكتفِ بذلك، بل اعترض على حكم الزكاة، وقال: إنّ حكم الزكاة كالجزية؛ أي: أنّنا أسلمنا حتّى لا نؤدّي الجزية، فإذا وجبت علينا الزكاة؛ فأيّ فرق بيننا وبين غيرنا من غير المسلمين؟

---

(١) «وعلى رواية أخرى أنّه اشترى غنماً، فلم تزل تتوالد حتّى أصبح حفظها ورعايتها في المدينة أمراً غير ممكن، فاضطرّ أن يخرج إلى أطراف المدينة»، الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٦، ص١٣٢ـ١٣٣.

لقد تكلم بكلامه هذا في الوقت الذي لم يفهم معنى الجزية ولا معنى الزكاة، أو أنّه فهمه، إلّا أنّ حب الدنيا وتعلّقه بها لم يسمح له ببيان الحقيقة وإظهار الحق، فلمّا بلغ النبيّ صلى الله عليه وآله ما قاله؛ قال: «**يا ويح ثعلبة! يا ويح ثعلبة**»؛ فنزلت هذه الآيات[1].

ولا شكّ في أنّ هذا الخُلق مذموم في نظر الشرع والعقل والعرف الاجتماعي؛ فقد صرّحت الروايات بذمّه، وأنّه من أخلاق المنافقين، ففي الحديث: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث مَن كُنّ فيه؛ كان منافقاً، وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم: مَن إذا ائْتُمِنَ خان، وإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، إنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾**[2]، **وقال: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾**[3]، **وفي قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾**[4]»[5]، وهو يؤكّد على أهميّة جانب المعاملة في سلوك المؤمن، وأنّ الإيمان ينبغي أن تظهر آثاره على تصرّفات الإنسان ومعاملاته مع الآخرين، فالعبادات مثل الصلاة والصوم ونحوهما علاقة تربط الإنسان بالله تعالى، وهذه العلاقة لا يعرفها إلاّ الله؛ بينما المعاملات مثل البيع والشراء والقرض والإجارة والأمانة والوفاء بالوعد

---

(١) أُنظر: المصدر السابق.
(٢) الأنفال: آية٥٨.
(٣) النور: آية٧.
(٤) مريم: آية٥٤.
(٥) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٩١.

ونحوها هي علاقة تربط الانسان بالإنسان الآخر؛ وعلى أساسها يمكن تقييم مدى تديّن الإنسان والتزامه؛ ومن هنا يقول النبيﷺ، في هذا الحديث إنّ مَن يخون الأمانة ويكذب في الحديث ويخلف الوعد فإنّما هو منافق حتّى لو صلّى وصام وأدّى العبادات؛ لأنّ هذه التصرّفات تكشف عن كذب إيمانه وضعف التزامه.

والعقل يستهجن خُلف الوعد ويعدّه قبيحاً، كما أنّ صاحب هذا الخلق سوف يسقط من أعين الناس، ويفقد كرامته ومكانته.

٣ـ شهادة الزور

يطلّ علينا مجدّداً الكذّاب، ولكنه في هذه المرّة ليس في كتب الحديث والتاريخ، ولا بصفته راوٍ للحديث أو مؤرّخ؛ وإنّما يطلّ علينا هذه المرّة كشاهد يقف أمام القاضي، ليشهد زوراً وبهتاناً على أموال الناس وحقوقهم؛ ليسلبها من أصحابها ويهبها لغيرهم، ليسلب داراً أنفق صاحبها عليها كلّ ما يملك من مال وجهد، ليستقر بها مع عائلته، ويهبها لذلك التاجر الفاجر السارق، في مقابل حفنة من حطام الدنيا أو حتّى بدون مقابل، أو ليقف أمام القضاء ليبرّئ مجرماً قاتلاً اختطف الكثير من أرواح الأبرياء، لا لشيء؛ إلا لأنّ هذا المجرم من أقربائه وقومه، أو من حزبه أو جماعته.

وقد حرّم القرآن الكريم شهادة الزور وذمّها في العديد من آياته، ففي قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1]، عطف اجتناب قول الزور على اجتناب الرجس من الأوثان؛ وما ذلك إلّا لعظمها وفداحتها، فهي مقترنة بالشرك؛ ولهذا هي لا تنتمي إلى صفات المؤمنين المتّقين، قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[2]، فالمؤمن لا يقول إلّا حقّاً، ولا يشهد إلّا صدقاً.

وركّزت الأحاديث الشريفة على عقوبة شاهد الزور، واستحقاقه في الآخرة، ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**ما من رجلٍ يشهد بشهادة زورٍ على مالِ رجلٍ مسلم ليقطعه، إلّا كتب الله له مكانه صكّاً إلى النار**»[3]، وفي حديث آخر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**شاهد الزور لا تزول قدماه حتّى تجب له النار**»[4].

وبما أنّ كتمان الشهادة لا يقلّ خطورة عن شهادة الزور ـ لأنّهما يشتركان في سلب الحقوق عن أصحابها الشرعيّين ـ لذا ورد في رواية أنّ عقوبة النار لا تقتصر على شاهد الزور، بل تشمل مَن يكتم الشهادة أيضاً، فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتّى يتبوّأ مقعده من النار، وكذلك مَن كتم الشهادة**»[5].

---

(١) الحج: آية ٣٠.
(٢) الفرقان: آية ٧٢.
(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٣٨٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

وحيث أخذ بنا البحث إلى الحديث عن كتمان الشهادة؛ نجد من المناسب أن ننقل هذه الحادثة: فقد نقل المؤرّخون أنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام خرج من القصر، فاستقبله ركبان متقلّدون بالسيوف عليهم العمائم، فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا مولانا، فقال عليه السلام: «من هيهنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟!»، فقام خالد بن زيد أبو أيّوب (الأنصاري)، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن بديل بن الورقاء، فشهدوا جميعاً أنّهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ: «**مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه**». فقال علي عليه السلام لأنس بن مالك والبراء بن عازب: «**ما منعكما أن تقوما فتشهدا؛ فقد سمعتما كما سمع القوم؟**»، ثمّ قال: «**اللّهمّ إن كانا كتماها معاندة فابتلهما**»، فعمى البراء بن عازب، وبرص قدما أنس بن مالك ، فحلف أنس بن مالك أن لا يكتم منقبةً لعليّ بن أبي طالب ولا فضلاً أبداً. وأمّا البراء بن عازب، فكان يسأل عن منزله؟ فيُقال هو في موضع كذا وكذا، فيقول: كيف يرشد من أصابته الدعوة[1].

٤ـ اليمين الكاذب

اليمين: هو الحلف بـ (الله) تعالى أو بأحد أسمائه، على أمر معيّن، سواء كان ذلك الأمر من الماضي، كأن يُخبر عن قضيّة ويحلف عليها، أو من المستقبل، كأن يحلف على قضيّة مستقبليّة.

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص٢٤٥، وما بعدها.

وبشكل عام لا تُحبّب الشريعة الإسلاميّة القسم بالله تعالى، إلاّ في حالات الضرورة أو الحاجة؛ إذ ليس من المناسب أن يُقسم الإنسان بالله في كلّ أمر، ولأيّ سبب من الأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[1]، وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد نهى عن ذلك، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾**»[2].

فإذا كانت اليمين الصادقة غير محبّبة عند الله ورسوله، فكيف باليمين الكاذبة التي يروم صاحبها أن يُثبت باطلاً، أو يغيّر حقيقة؟!

ولخطورة هذا الأمر نقرأ في الأحاديث ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**مَن حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله**»[3]. وعنه أيضاً عليه السلام: «**قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اليمين الصبر الفاجرة تدع الديار بلاقع**»[4].

والمراد من (اليمين الصبر): هي التي تحبس صاحبها وتُلزمه الحكم. كما أنّ مفردة (الفاجرة): بمعنى الكاذبة. و(البلاقع): جمع بلقع وبلقعة، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها.

والمراد من هذا الحديث الأخير: أنّ الحالف بها يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق، وقيل: هو أن يفرّق الله شمله ويغيّر عليه ما أولاه من نعمة[5].

---

(١) البقرة: ٢٢٤.
(٢) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٣٦٢.
(٣) البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن: ج١، ص١١٩.
(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٤٣٥.
(٥) الفيض الكاشاني، محمّد محسن، الوافي: ج١٦، ص١٠٤٦.

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ اليمين الفاجرة تُنغل في الرحم**». قال قلت: وما معنى تُنغل في الرحم؟ قال: «**تُعقر**»[١].

وعن فليح بن أبي بكر الشيباني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**اليمين الصبر الكاذبة تُورث العقب الفقر**»[٢].

إذن؛ لليمين الكاذب آثار في الدنيا وآثار في الآخرة، أمّا الدنيا؛ فإنّها تُورث الفقر والعقم، وأمّا في الآخرة؛ فإنّها تُورث النار.

وممّا يُؤسف له ما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا، من كثرة اليمين الكاذب، وفي مختلف الأماكن والأوقات، ففي السوق نجد في كثير من الأحيان يلتجئ إليها كلٌّ من البائع والمشتري، للمغالبة وزيادة الربح، ولو التفتوا إلى ما قرأناه من أحاديث؛ لعلموا علم اليقين أنّ اليمين الكاذب هي سبب الخسائر التي يتعرّضون لها أحياناً، وفي المحاكم نجد شاهد الزور يضع يده على المصحف المقدّس ليقسم كاذباً على سلب حقٍّ أو إبطاله، أو براءة مجرم أو إدانة بريء، إلى غير ذلك.

وهناك فئة من الناس قد اعتادت على اليمين الكاذبة، إلى درجة أنّهم يقسمون كذباً أمام الله تعالى؛ ظنّاً منهم أنّ ذلك سينجيهم، كما كانوا يفعلون ذلك في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[٣].

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي:ج٧، ص٤٣٧.
(٢) المصدر السابق:ج٧، ص٤٣٦.
(٣) المجادلة: آية١٨.

حقّاً إن هؤلاء أمرهم مضحك وغريب! ولكن هذه نتيجة طبيعيّة لكلّ كذّاب مطبوع على الكذب؛ فإنّ نهايته الذُّلّ والهوان، وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**جانبوا الكذب؛ فإنّه مُجانب للإيمان. الصادق على شَفا مَنجاةٍ وكرامة، والكاذب على شَرَف مَهواةٍ ومَهانة**»[1].

٥ـ الكذب على الناس

للكذب على الناس صور وحالات، منها:

الصورة الأُولى: النفاق

للنفاق معنى خاصّ، وآخر عامّ، أمّا الخاصّ فهو أن يُظهر الإسلام والإيمان ويُبطن الكفر، وأمّا معناه العامّ فهو يشمل كلّ مخالفة بين الظاهر والباطن[2]، وممّا يدلّ على أنّ معناه عامّ استعمالاته في النصوص الإسلاميّة، من ذلك ما جاء في قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ثلاثٌ مَن كُنّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم : مَن إذا ائتُمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف**»[3]، فمن الواضح أنّ الحديث يُطلق صفة النفاق على مَن خالف ما يلتزم به، وإن كان مسلماً، يصلّي ويصوم ويمارس العبادات، ولكنّه ليس مأموناً على الأمانة، يُظهر أمانته ولكنه يُبطن الخيانة، وهكذا بقيّة الأمثلة؛

---

(١) الشريف الرضي، خطب الامام علي عليه السلام: ص ١١٧، تحقيق: صبحي الصالح.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:ج١، ص٩٩ ، بتصرّف.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي:ج٢، ص٢٩٠، ٢٩١.

فالمنافق ـ إذن ـ: هو الذي يقول للناس شيئاً، ويخفي في نفسه شيئاً آخر، وقد تحدّث القرآن عن المنافق في عدّة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[1]، فالذي يكذب لا شكّ في أنّه منافق، كما أشار إليه الحديث المتقدّم، وكما هو واضح من مدلول الآية الكريمة، فإنّ الذي يقوم به المنافقون هو أنّهم يقولون شيئاً ولكنّهم يُخفون شيئاً آخر؛ وهذا هو الكذب بعينه.

الصورة الثانية: البهتان

والبهتان هو نسبة شيء إلى شخص مع أنه بريء منه وليس له علاقة فيه[2]؛ ومعنى ذلك: هو أن ينسب الكذّاب لبعض الناس ما لم يقولوا، أو يُلصق بهم ما ليس فيهم؛ حطّاً لقدرهم وهدراً لكرامتهم، وفي الحديث عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه؛ أقامه الله يوم القيامة على تلٍّ من نار حتّى يخرج ممّا قال فيه**»[3]، فالبهتان ليس مجرّد كذب على الناس، بل إن في البهتان أمراً إضافياً؛ وهو إلصاق التهم بهم، وهم بريئون منها، فالذي يقول: فلان يسرق، أو يشرب الخمر، وكان الشخص المعنيّ بريئاً من ذلك، يكون القائل قد ارتكب مخالفتين: كذبه على الناس، واتّهامه الآخر بما هو بريء منه.

---

(١) البقرة: آية١٤.

(٢) أُنظر: الغازي، داوود بن سليمان، مسند الرضا عليه السلام: ص١١٤.

(٣) الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٣٧.

الصورة الثالثة: الكذب الخيالي

من أوضح نماذج الكذب الخيالي هو اختلاق القصص والحكايات على أنّها واقعيّة، سواء ما يرتبط منها بنفسه أو ما يرتبط بالآخرين، مثل أن يحكي عن بطولاته وإنجازاته المزيّفة، أو يحكي قصصاً ومواقف تمجّد رموزاً معيّنين وهي ليست حقيقيّة، إلى غيرها من القصص والحكايات التي لا واقع لها، ولكنّه يحاول أن يُلبسها ثوب الحقيقة، وهذه كلّها أكاذيب محرّمة؛ يستحق عليها صاحبها عقوبة الكذب.

الصورة الرابعة: إخبارات المتنبّئين

وهي إخبارات وتنبّؤات مستقبليّة، تعتمد على حسابات ومعادلات خاصّة، وهي لا تطابق الواقع في أغلب الأحيان؛ فلذا تدخل في إطار الكذب، بل أحياناً تقود إلى كوارث اجتماعيّة، فبعض الناس يتعرّض للسرقة، ولا يهتدي إلى السارق، فيذهب إلى أُولئك المتنبئين، فيخبرونه بمَن يعتقدون أنّه السارق؛ فتحدث الخلافات والنزاعات وقد يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى صراعات واقتتال بين مَن تعرض لحادثة السرقة وبين مَن ألصقت به التهمة في حين أن هذا الأخير بريء ولا علم له بما حصل.

والمُلاحَظ هو انتشار هؤلاء المتنبّئين في هذه الأعوام بشكلٍ مُلْفت، كما أن الناس ـ للأسف الشديد ـ يصدّقونهم ويأخذون بما يقولون، ويرجعون إليهم، على الرغم من وضوح كذبهم وزيفهم، من خلال التجربة.

وجاء في كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السلام كلّم به منجّماً ـ حينما عزم على الخروج إلى النهروان لقتال الخوارج ـ حيث قال له المنجّم: يا أمير المؤمنين، لا تسِرْ في هذه الساعة، وسِرْ على ثلاث ساعات مضين من النهار؛ فإنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذىً وضرٌّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال له أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أتدري ما في بطن فرسي هذه: أذكر هو أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت. فقال علي عليه السلام: مَن صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن، قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾[1]». ثمّ قال عليه السلام: «**إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله ما كان يدّعي علم ما ادّعيت علمه، أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي يُصيب النفعُ مَن سار فيها، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمَن سار فيها؟! فمَن صدّقك بهذا؛ فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ ذِكره في صرف المكروه عنه. وينبغي للموقن بأمرك أن يُوليك الحمد دون الله جلّ جلاله؛ لأنّك بزعمك هديته إلى الساعة التي يُصيب النفع مَن سار فيها، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمَن سار فيها، فمَن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمَن اتخذ من دون الله ضدّاً وندّاً، اللّهمّ لا طيرَ إلاّ طيرُك ولا ضرّ إلّا ضرّك، ولا إله غيرك**». ثمّ قال: «**نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها**». ثمّ أقبل على الناس، فقال: «**أيّها الناس، إيّاكم والتعلّم للنجوم، إلّا ما يُهتدى به في ظلمات البرّ**

---

(١) لقمان: آية ٣٤.

والبحر، إنّما المنجّم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النار، أما والله، لئن بلغني أنّك تعمل بالنجوم لأُخلّدنّك السجنَ أبداً ما بقيت، ولأُحرّمنّك العطاء ما كان لي من سلطان». ثمّ سار في الساعة التي نهاه عنها المنجّم، فظفر بأهل النهر وظهر عليهم، ثمّ قال: «**لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجّم لقال الناس: سار في الساعة التي أمر بها المنجّم فظفر وظهر. أما إنّه ما كان لمحمّدﷺ منجّم، ولا لنا من بعده، حتّى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر، أيّها الناس، توكّلوا على الله وثقوا به، فإنّه يكفي ممّن سواه**»[1].

الصورة الخامسة: انتحال الشخصية

ومن صور الكذب على الناس ـ أيضاً ـ انتحال الشخصيّة، كأن يدّعي أنّه من رجال الدين؛ طلباً للمال أو المكانة أو غير ذلك، فترجع إليه الناس فيما يرتبط بالمسائل الدينيّة، أو يدّعي أنّه طبيب، ويفتح عيادة، ويُراجعه المرضى، ويكتب لهم العلاج كذباً وخداعاً، أو يدّعي أنّه موظّف حكومي يستطيع إنجاز بعض المعاملات، أو يدّعي أنّه من رجال الأمن، وغير ذلك من صور انتحال الشخصيّة؛ وهذا كلّه من الكذب والدجل، الذي يتعرّض له المجتمع على مختلف العصور.

وهناك صور أُخرى للكذب على الناس نشاهدها في حياتنا اليوميّة.

---

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٢٦٩ـ٢٧٠

الفصل الرابع:

مستثنيات حرمة الكذب

الفصل الرابع: مستثنيات حرمة الكذب

قد اتّضح ممّا تقدّم أنّ الكذب حرام بكلّ صوره وأشكاله، وأنّ الإيمان لا يتلاءم مع هذا الخُلق القبيح، وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يترك الكذب هَزْلَه وجِدّه**»[1]. وفي حديثٍ آخر يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يُوصي أولاده: «**اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كلّ جِدٍّ وهَزْل؛ فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتّى يكتبه الله صدِّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتّى يكتبه الله كذّاباً**»[2].

ومع هذا الحرص الشديد على تجنّب الكذب، والابتعاد عنه، وتهذيب المجتمع الإنساني منه؛ نجد أحياناً أنّ من الضروري أن نُخفي الحقيقة عن صاحبها، بل نُخبره بخلافها؛ لأنّ في كشفها مفاسد جمّة، ولهذا جاء في النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام طيف من الاستثناءات من عموم حرمة الكذب، للحالات الخاصّة التي شخصها الدين القويم؛ لما فيها من المصلحة والحكمة، وفيما يلي نذكر تلك الموارد:

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٣٤٠.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٣٣٨.

المورد الأوّل: الكذب لأجل الضرورة

لا شكّ في أنّ الكذب وأن كان حراماً الاّ أنّ الضرورة أحياناً تحتم على البعض ارتكابه، كما لو كان الصدق وقول الحق يؤدي الى قتل إنسان بريء أو تلف أمواله، أو يؤدي الى وقوع المتكلم أو الآخرين في ضرر وظلم، ففي مثل هذه الحالات يجوز الكذب بل قد يجب في بعض الحالات؛ لحفظ النفس أو الأموال المحترمة، أو نحو ذلك من الموارد والحالات التي تحتم ارتكاب الكذب[1].

المورد الثاني : الإصلاح

إنّ قبح الكذب وكذلك الحسن في الصدق لا يرجعان إلى الكذب بما هو حالة وفعل يصدر عن الإنسان في حد ذات الفعل، وكذا الحال في الصدق أيضاً، بل إنّ الكذب بما هو كذب ليس قبيحاً في حد ذاته؛ لأنّه مجرّد كلام صادر من متكلّم؛ وإنّما يكون قبيحاً بلحاظ الآثار المترتّبة عليه، والمفاسد الناجمة عنه، وهكذا الصدق، فإنّه ليس حسناً بذاته،؛ وإنّما يطرأ عليه الحسن بلحاظ آثاره ونتائجه؛ وبتعبير أوضح: إنّ العقل الإنسانيّ يُدرك وجود الأشياء الحسنة والقبيحة، مع قطع النظر عن حكم الشريعة فيها، فالعدل يحكم العقل بأنّه حسن، ويحكم بقبح الظلم؛ بينما هناك صفات لا يحكم عليها العقل بالحسن أو القبح إلّا من خلال ما يترتّب عليها من نتائج وآثار، فحفظ الأمانة لا شكّ في أنّه من الأمور المستحسنة، ولكن لو كان في حفظها

---

(١) الصدر، محمّد محمّد صادق، ما وراء الفقه:ج١٠، ص٣٢٤.

هلاك الناس أو فسادهم، كما لو طلب شخص من صديقه أن يحتفظ له بكتاب من كتب الضلال والانحراف، بحيث لو اطّلع عليه الناس لضلّوا وانحرفوا؛ ففي مثل هذه الحالة يكون الحفظ أمراً قبيحاً، وعلى هذا الأساس؛ لو لم تترتّب آثار سيّئة على الكذب، بل ترتّبت بسببه منافع ومصالح تعود على المجتمع الإنساني؛ فلا يكون حينئذٍ قبيحاً، بل يكون حسناً حينئذٍ، وكذا الصدق إذا ترتّبت عليه مفسدة؛ فإنّه سيكون قبيحاً بلا شكٍّ.

ويحرص الإسلام على نشر الأُلفة والمحبّة بين أبناء المجتمع، وتقوية أواصر الأُخوّة بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]. وفي حديث عن النبيﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»[2]. ولهذا فإنّ كلّ قولٍ أو فعلٍ يساهم في هذا الإصلاح، ونشر روح الأُخوّة؛ يكون أمراً مرغوباً ومحبوباً.

ومنه يتّضح أنّ الكذب إذا كان موجباً للإصلاح؛ فهو ممدوح، بل قد يكون واجباً فيما لو توقّف الإصلاح عليه، ولنقرأ بعض الروايات في ذلك:

أ ـ عن رسول اللهﷺ: «**يا عليُّ، إنّ الله عزّ وجلّ أحبَّ الكذب في الصلاح، وأبغضَ الصدقَ في الفساد**»[3].

---

(١) الحجرات: آية١٠.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم: ج٨، ص٢٠.

(٣) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٥٣.

ب ـ عنه صلى الله عليه وآله: «**ثلاثٌ يحسُنُ فيهنّ الكذب: المكيدةُ في الحرب، وعِدَتُكَ زوجتك، والإصلاح بين الناس**»[١].

جـ ـ عنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «**ثلاثٌ يحسُنُ فيهنّ الكذب: المكيدةُ في الحرب، وعِدَتُكَ زوجتك، والإصلاح بين الناس، وثلاثٌ يقبُحُ فيهنّ الصدق: النميمةُ، وإخبارُكَ الرجلَ عن أهله بما يكرهه، وتكذيبُكَ الرجلَ عن الخبر...**»[٢].

ففي هذين الحديثين، يعتبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الكذب من أجل الإصلاح بين الناس أمراً مستحسناً؛ لأنّ الهدف نبيل، والغاية سامية.

د ـ نطالع في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه: «**المصلح ليس بكذّاب**»[٣]، فهو لا يرى أن المصلح كذّاب، مع أنّه يقول خلاف الحقيقة، بخلاف الواقع؛ وما ذلك إلّا لأنّ الملاحظ في الكذب هنا إنّما هو الأثر المترتّب عليه، والمنافع الناجمة عنه، وليس النظر إلى ذاته.

كما أنّ نفس الكذّاب تنطوي على نيّة سيّئة، وخُبث سريرة في قلب صاحبها، وغاية قبيحة، وهي قلب الحقيقة وتزييفها، وإيقاع الناس في الشبهات والتناقضات، ولكنّ المصلح وإن قال خلاف الحقيقة؛ إلا أنه إنّما يقصد هدفاً سامياً، فهو ينشد صلاح الناس، وهذه الغاية تُعتبر من الأولويات في نظر الشريعة، وقد حثّ الكتاب العزيز على الإصلاح والحرص عليه، فقال تعالى:

---

(١) المصدر السابق: ص٣٥٩.

(٢) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ٨٧.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢١٠.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، فالآية تأمر بالإصلاح بين المؤمنين، وتعتبرهم إخوة، وفي مكان آخر يعتبر القرآن الكريم الصلح خيراً مطلقاً، قال تعالى :﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[2].

وفي القرآن الكريم شواهد على حسن الكذب في موارد الإصلاح، وهداية الناس إلى الحق، فمن ذلك: ما جاء في حديث للحسن الصيقل مع الإمام الصادق عليه السلام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا قد رُوِّينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف عليه السلام: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾[3]، فقال: «**والله، ما سرقوا وما كذب، وقال إبراهيم:** ﴿قَالَ بَل فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[4]، **فقال: والله، ما فعلوا، وما كذب**»[5]. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**ما عندكم فيها يا صيقل؟**»، قلت: ما عندنا فيها إلّا التسليم. قال، فقال: «**إنّ الله أحبّ اثنين، وأبغض اثنين: أحبّ الخطر فيما بين الصفين، وأحب الكذب في الإصلاح، وأبغض الخطر في الطرقات،**

---

(١) الحجرات : آية ١٠.

(٢) النساء : آية ١٢٨.

(٣) يوسف: آية ٧٠.

(٤) الأنبياء: آية ٦٣.

(٥) ورد في بعض الروايات أنّ المراد من قوله: «ما كذب» أنّه لم يكذب في كلامه هذا إساساً وإطلاقاً؛ لأنّه قد علّق قوله: ﴿بَل فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾، على قوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، فهو خبر معلّق، وحيث إنّ المعلّق عليه محال فكذلك المعلّق، وأمّا يوسف عليه السلام فالمقصود من قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾، سرقة يوسف من قبل. أُنظر: المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج١٢، ص٨.

وأبغض الكذب في غير الإصلاح، إنّ إبراهيم عليه السلام إنّما قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يفعلون، وقال يوسف عليه السلام إرادة الإصلاح»[1]،[2].

المورد الثالث : المكيدة في الحرب

لا شكّ في أنّ المكيدة والخدعة من العوامل المهمّة في حسم المعارك، وهي تدخل في الجانب الخططي والإعلامي، وحيث إنّ انتصار أهل الحقّ من أولويات ظهور الدين وبقائه؛ كان الكذب في الحروب والمعارك أمراً جائزاً وأحياناً يكون ضروريّاً، كما سوف نقرأ ذلك في الروايات التالية:

أ ـ في الحديث المتقدّم عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**ثلاثٌ يحسُنُ فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب...**»[3].

ب ـ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً، إلّا كذباً في ثلاثة: رجل كائد في حربه، فهو موضوع عنه...**»[4].

ومن الممكن أن نفهم الحرب على أنّها ليست فقط الحرب العسكريّة الفعليّة، أو ما يُسمّى بالمصطلح السياسي: (الحرب الخشنة)؛ أي: ما تُستعمل

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٤١، وما بعدها.

(٢) ينبغي الالتفات الى أنّ هناك آراء وروايات أُخرى في تفسير الآيتين، أُنظر: على سبيل المثال: القمّي المشهدي، محمّد بن محمّد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج٨، ص٤٢٦، وما بعدها .

(٣) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٥٩.

(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٤٢.

فيها الآلة العسكريّة، من دبّابات وطائرات، وجهد بشري، لا ليس هذا فقط، وإن كانت الحروب السابقة والتي واكبتها النصوص الدينية هي كذلك، وإنّما تشمل كلّ ألوان الحروب والصراعات التي يخوضها المسلمون مع أعدائهم؛ فهي تشمل الحرب الاقتصاديّة والفكريّة والثقافيّة، وغيرها، والتي تُسمّى بـ (الحرب الناعمة)، فكلّ ما يدخل في عنوان الحرب يجوز فيه الكذب، إذا كان ممّا يدخل في إطار الحسم، والتأثير على الخصم، ولكنّه في النهاية موقوف على سعة النص وامتداده لمثل هذه المصاديق، فإنّ النصّ كما قرأناه يتحدّث عن خصوص الحرب العسكريّة القائمة أو مقدّماتها، فشموله لغيرها من الأنواع مثل الحرب الناعمة يحتاج إلى أن لا نفهم من النصّ خصوص الحرب العسكريّة، وهو شيء يحتاج إلى بيانٍ أوسع وتتبّعٍ للنصوص، وقد ذكرناه هنا لمجرّد التوسع في التصوّرات المحتملة، لنترك الحكم بإمكانية التوسّع إلى أمكانية شمول الدليل وعدمه، وهو موكول إلى محلّه من الفقه.

المورد الرابع: مواعدة الزوجة

ذكرت الروايات المتقدّمة أنّ المورد الثالث الذي استُثني من حرمة الكذب هو مواعدة الزوجة، بأن يعد الرجل زوجته بأمر ما، ثمّ لا يفي لها به، ولعلّه يدخل في نطاق الوعد الذي لا يجب الوفاء به، عند بعض الفقهاء، إذ إن لهم في الوفاء بالوعد بحثاً مستفيضاً حول وجوب الوفاء به وعدمه، وقد اختار جمع منهم أنّ الوفاء بالوعد ليس أمراً واجباً وإنّما هو مستحبّ، فلو قال الرجل لزوجته: سأشتري لكِ الشيء الفلاني، فإن كلامه هذا وعد،

وعليه لا يجب الوفاء به، وهو مذكور في الكتب الفقهيّة[١]، كما أنّ هناك روايات تنهى عن مواعدة الصبيّ بشيء، مع عدم الوفاء له، وسنتعرّض لها في محلّها، إن شاء الله تعالى.

والمهمّ أنّ هذا المورد لم يتّفق الفقهاء على استثنائه؛ وحريٌّ بالمؤمن أن يتجنّب الكذب على زوجته، وله أن يتخلّص منه بعدّة طرق، مثلاً: أن يعلّق الأمر على مشيئة الله تعالى، فيقول مثلاً: سأفعل لك الأمر الفلاني إن شاء الله، أو يورّي مع الحاجة لذلك، كما لو طلبت منه شيئاً يصعب عليه قبوله، ولكنه لو امتنع قد تحدث مشكلة، فله أن يقول لها مثلاً: سأفعل ذلك، وهو يقصد شيئاً آخر بإمكانه تحقيقه.

المورد الخامس : الكذب في المزاح

في البداية لا بدّ من التمييز بين الحالات التالية:

الحالة الأُولى: فيما لو تكلّم ـ هزلاً ـ في صورة الإخبار من دون أن يقصد الإخبار، كما لو قال أحد لجاره: هل صحيح أنك اشتريت بيتاً جديداً. فقد ذكر الفقهاء أنه لا إشكال في جوازه؛ لأنّه ليس إخباراً ليكون كذباً، وإنّما هو مجرّد كلام لم يُقصد منه الإخبار.

---

(١) ذهب إلى جواز مواعدة الزوجة بشيءٍ مع نيّة عدم الوفاء السيّد محسن الحكيم (قده)، أُنظر: الحكيم، محسن، منهاج الصالحين:ج٢، ص١٥، رقم المسألة(٣٥)، والسيّد محمّد صادق الروحاني (دام ظله) أُنظر: الروحاني، محمّد صادق، منهاج الصالحين:ج٢، ص١١، رقم المسألة(٣٥)، واحتاط وجوباً بالمنع جماعة منهم: السيّد الخوئي(قده)، أُنظر: الخوئي، أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين:ج٢، ص١٠، رقم المسألة(٣٥)، والسيّد السيستاني(دام ظلّه) أُنظر: السيستاني، علي الحسيني، منهاج الصالحين:ج٢، ص١٥، رقم المسألة(٣٨).

الحالة الثانية: لو تكلّم هزلاً وكان قد قصد الإخبار، ولكنّه قد نصب قرينة على كونه هازلاً وليس جادّاً، كما لو قال : أسناني تؤلمني، وهو يبتسم، بحيث يفهم السامعون أنّه لا يقول الحقيقة، وإنّما هو يمزح، وفي هذه الحالة اختلفت آراء العلماء بين من أفتى بحرمتها وبين من قال: إنها من الموارد الجائزة.

الحالة الثالثة: فيما لو تكلم ولم ينصب قرينة لتفهيم السامع أنّه لا يريد الحقيقة، وإنّما كان يريدها ظاهراً، بحسب المزاح، وإن كان لا يقصدها واقعاً، وهذه الحالة كذب محرّم بلا شكٍّ، وهي المعنيّة بالروايات الناهية عن الكذب في المزاح[1].

ومع قطع النظر عن الحكم الفقهي، يبقى أنّ الكذب لا ينسجم مع أخلاق المؤمن ولو كان في المزاح، وأنّ المؤمن ينبغي أن يتحلّى بالصدق دائماً، وفي جميع الأوقات والأحوال ما وجد لذلك من سبيل، إلّا ما تقتضيه الضرورة، وقد حثّنا أهل البيت عليهم السلام على ضرورة المحافظة على الصدق واجتناب الكذب، فقد تقدّم في الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «**اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كلّ جِدٍّ وهزل**»، وتقدّم ـ أيضاً ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يترك الكذب هزله وجِدّه**».

---

(١) ذهب السيّد الخوئي رحمه الله إلى جواز الحالة الأُولى فقط. اُنظر: الخوئي، أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين: ج٢، ص١٠، رقم المسألة(٣٥). فيما ذهب السيّد السيستاني(دام ظله) إلى جواز الحالتين الأُوليين دون الثالثة. اُنظر: السيستاني، علي الحسيني، منهاج الصالحين: ج٢، ص١٥، رقم المسألة(٣٨).

كما أن النبيّ الأكرمﷺ قد شدّد على تجنّب الكذب حتّى في المزاح، وأنّ الغاية ـ وهي إضحاك الناس، وإدخال السرور إلى قلوبهم ـ لا تبرّر الكذب، ولا تجعل منه شيئاً جائزاً، فمن وصاياهﷺ لأبي ذرٍّ (رض): «**يا أبا ذرٍّ ... وإنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة في المجلس ليُضحكهم بها؛ فيهوى في جهنّم ما بين السماء والأرض. يا أبا ذرٍّ، ويل للذي يُحدّث فيكذب ليُضحك به القوم، ويل له، ويل له، ويل له. يا أبا ذرٍّ، مَن صمت نجى، فعليك بالصمت، ولا تخرجنّ من فيك كذبة أبداً**». قلت: يا رسول الله، فما توبة الرجل الذي يكذب متعمّداً؟ قال: «**الاستغفار، وصلوات الخمس تغسل ذلك**»[1].

فهناك وسائل أُخرى لإضحاك الناس، والمزاح معهم، يمكن الاستعانة بها بعيداً عن الكذب، الذي قد تترتّب عليه مفاسد كثيرة، فكم من كذبة في مزاح أحدثت مشاكل بين الناس؟ وكم من صديق خسر صديقه بسبب كذبة عابرة؟ فبينما يهدف صاحب الكذبة إلى تلطيف الأجواء ورسم الابتسامة في وجوه الحاضرين؛ ترتدُّ عليه ويتحوّل المجلس إلى مكان مشحون بالأجواء المتوتّرة، وتسوده النفرة والكراهية.

وأحياناً يصل الأمر بتلك الكذبة العابرة إلى نزاع عشائري، أو حتّى عائلي، ينتهي إلى نتائج لا تُحمد عقباها.

إنّ الاستعانة بالكذب لغرض المزاح واللعب واللهو، يشبه اللعب بالنار، الذي قد تحرق صاحبها ومَن حوله.

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٥٣٦.

ونقل لنا التاريخ مواقف طريفة للنبي الأكرمﷺ وأئمّة أهل البيتعليهم السلام وهم يُداعبون بها بعض الناس، بعيداً عن الكذب.

فمن ذلك ما جاء عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «**ما من مؤمن إلّا وفيه دعابة، وكان رسول اللهﷺ يُداعب، ولا يقول إلّا حقّاً**»[١].

فالمؤمن يُداعب ويمزح ويضحك، ولكنّه لا يقول إلّا حقّاً، فالحقُّ منطقه، في الجدّ والهزل.

وعن عليٍّعليه السلام قال: «**أبصر رسول اللهﷺ امرأة عجوزاً درداء**[٢]، **فقالﷺ: أما إنّه لا يدخل الجنّة عجوز درداء. فبكت. فقال: ما يُبكيك؟ فقالت: يا رسول الله، إنّي درداء. فضحك رسول اللهﷺ وقال: لا تدخلين على حالك هذه**»[٣].

وعن زيد بن أسلم أنّهﷺ قال لامرأة وذكرت زوجها: «**أهذا الذي في عينيه بياض؟**»، فقالت: لا، ما بعينيه بياض، وحكت لزوجها، فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها؟[٤].

إذن؛ المزاح والمفاكهة لا يتوقّف على الاستعانة بالكذب، بل له وسائل أُخرى كثيرة.

---

(١) الطبرسي النوري، ميرزا حسين، مستدرك وسائل الشيعة: ج٨، ص٤٠٨.
(٢) الدرداء: هي التي سقطت أسنانها.
(٣) الراوندي، فضل الله، النوادر: ص١٠٧.
(٤) ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص١٢٨.

الفصل الخامس:

عواقب الكذب وآثاره

الفصل الخامس: عواقب الكذب وآثاره

تنقسم آثار الكذب وعواقبه إلى قسمين:

القسم الأوّل: الآثار الدنيويّة

القسم الثاني: الآثار الأُخرويّة

أمّا الآثار الدنيويّة، فيمكننا أن نذكر منها التالي:

١ـ انعدام الثقة: فليس عليك إلّا أن تتصوّر أنّك تعيش في مجتمع يسوده الكذب، وينعدم فيه الصدق، كيف يمكنك أن تمارس حياتك؟!

فلو كان طفلك مريضاً، وحالته لا تسمح بالانتظار، وأردت أن تذهب به إلى الطبيب، ولكنّك لا تثق بذلك الطبيب الذي أصبحت مجبراً على مراجعته، فقد يكون شخصاً محتالاً، يتزيّى بزيّ الطبيب، ولكنّه ليس طبيباً، وقد يسجّل لطفلك علاجاً يُودي بحياته، ثمّ صاحب الصيدليّة قد يعطيك دواءً مضرّاً؛ لأنّه لم يكن وفق المواصفات الطبية العالمية أو أن صلاحيته منتهية وقد تلاعب بها بطريقة لا يمكن كشفها.

ولو أردت أن تشتري طعاماً، مع الالتفات إلى خطورة الطعام التالف، فكيف لك أن تثق بالبائع، إذا أخبرك بجودته، فهو أحياناً يبيعك طعاماً معبّأً في علبة؟!

أو أردت أن تُصلح سيّارتك، ولكنّك لا تثق بالمصلّح، فقد يربط لك دواليب تالفة مثلاً، فكيف لك أن تقود هذه السيارة بهذه الحالة التي قد تُودي بحياتك في أيّ لحظة؟!

إنّها فعلاً حياة لا تُطاق، ولا يمكن لأيّ إنسان أن يعيش في هكذا مجتمع، فإنّ الحياة الاجتماعية قائمة على الصدق والأمانة ورعاية الحقوق، والثقة وصدق الوعد، والالتزام والاتفاق، وغير ذلك من الالتزامات التي تقوم عليها حياة الناس الاجتماعيّة، ولولاها لما أمكن قيام مجتمع.

إذن؛ رقيّ المجتمع وتكامله يبتني على مقدار ما يتمتّع به أفراده من صدق وأمانة وثقة متبادلة، ورعاية للحقوق، وضوابط والتزام، فكلّما كانت هذه الصفات هي المُثل التي يحترمها أفراد المجتمع؛ كان ذلك المجتمع أكثر تكاملاً ورقيّاً.

٢ـ خسارة المكانة الاجتماعيّة: ومن آثار الكذب الاجتماعيّة أنّ صاحبه يفقد قيمته، ومكانته بين الناس، وبالتالي يخسر وجوده؛ إذ وجود الإنسان بكرامته وقيمته.

يقول أحمد شوقي:

وإنّما الأُمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا[1]

ونجد في كلام أهل العصمة عليهم السلام ما يُشير إلى هذه العاقبة، ففي كلماتٍ لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: «**ثمرة الكذب المهانة في الدنيا، والعذاب في الآخرة**»[1].

---

(١) الكفري، علي محمّد، أبيات فاقت شهرتها قائليها: ص٢١٢.

وقوله عليه السلام: «**الكذّاب والميّت سواء**»[٢]. وكذا قوله عليه السلام: «**يكتسب الكاذب بكذبه ثلاثاً: سخط الله عليه، واستهانة الناس به، ومقت الملائكة له**»[٣].

فالإمام عليه السلام قد اعتبر الكذّاب بمنزلة الميّت، فكما أن الميّت لا حياة له، كذلك الكذّاب لا حياة له؛ لأنّ الإنسان إنّما يحيا بقيمته ومكانته، وهما بدورهما تتحدّدان بمقدار ثقة الناس به.

ومن هنا نجد النصوص الإسلامية تدعو المؤمنين إلى اجتناب مصادقة الكذّاب، والابتعاد عنه، بحيث لا يجد الكذاب لنفسه مكاناً في المجتمع الإسلامي، فقد أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده الحسن عليه السلام بجملة وصايا، منها: «**وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ؛ فَإِنَّه كَالسَّرَابِ؛ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ ويُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ**»[٤].

وفي كلام آخر له عليه السلام: «**ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مواخاة الكذّاب؛ فإنّه يكذب حتّى يجيء بالصدق فلا يُصدَّق**»[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لا ينبغي للمرء المسلم أن يُواخي الفاجر، ولا الأحمق، ولا الكذّاب**»[٦].

---

(١) الليثي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٩.
(٢) المصدر السابق: ص٢٠.
(٣) المصدر السابق: ٥٥٠.
(٤) خطب نهج البلاغة: ص٤٧٥، تحقيق: صبحي الصالح.
(٥) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٤١.
(٦) المصدر السابق: ص٦٤٠.

ففي جميع هذه الأحاديث يحذّر أئمّة أهل البيت عليهم السلام المسلمين من مصادقة ومؤاخاة الكذّاب؛ لأنّ المصادقة تبتني على الصدق، وإلاّ لما كانت مصادقة، فالصديق يصدق صديقه، وكلمة الصديق مشتقة من الصدق، فإذا تبيّن أنّه كاذب؛ انتفى حينئذٍ عنوان الصدق والمصادقة، فلا يصلح أن يكون صديقاً أو أخاً.

فالأحاديث المتقدّمة تنهى المسلمين من التعامل مع الكذّاب؛ وهو نوع من أنواع العقوبات الاجتماعيّة له، فالإنسان الكاذب لا تنبغي مخالطته، بل ينبغي اجتنابه، وكأنّ المجتمع يقول له: لا مكان لك بيننا.

٣ـ القلق والتوتّر: ومن الناحية النفسيّة تنتاب الكذّاب حالة من الخوف والخشية، هي ملازمة له دائماً؛ لأنّه يخشى أن تنكشف حقيقته، ويطّلع الناس على واقعه، فهو دائم القلق، ينظر في أعين الناس حينما يحدثهم؛ ليرى مدى تأثير كلامه، وما هي انطباعتهم عنه، وهل وثقوا بقوله أو لا؟ وطبيعي أنّ هذا التوتّر تظهر آثاره على الوجه والجسم ، وقد عدّ الباحثون النفسانيّون هذه الحالة علامة من علامات الكذّاب، إذ إنّه يتّصف بـ «**عدم التوازن في نظر العينين عند التحدّث مع الآخرين؛ وذلك بإطالة الكاذب النّظر إلى عينَيْ مَن يحدّثه بشكل أطول من اللازم؛ ليُظهر انطباعاً أنّه يقول الحقيقة، أو زوغان البصر وعدم القدرة على التحديق مباشرةً في عينَيْ مَن يحدّثه، فكلتاهما علامتان ربّما تدلّان على الكذب**»[1].

---

(١) مقال منشور على شبكة الإنترنت، عنوانه (علامات الكذب في علم النفس) لإبراهيم العبيدي، الرابط: https://mawdoo3.com

وفي الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أضمر أحدكم شيئاً، إلاّ أظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه**»[١]. وبخلاف ذلك نجد أن الشخص الصادق كيف يعيش حالة من الاستقرار والطمأنينة والهدوء؛ فهو لا يُخفي شيئاً يخاف عليه الانكشاف، وحالة الهدوء النفسي تنعكس إيجابيّاً على الجسد، وعلى الوجه تحديداً، ولعلّه لهذا أشارت الروايات إلى أنّ الكذّاب يفقد بهاء وجهه، بخلاف المؤمن الذي بقي محافظاً عليه، فالبهاء هو النور والهيبة التي تعتلي وجه الصادق، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فساد البهاء الكذب**»[٢]، وعنه أيضاً: «**كثرة كذب المرء تُذهب بهاءه**»[٣].

٤ـ الفقر: ومن آثار الكذب الدنيويّة الفقر، فقد ذكرت الروايات أنّ الكذب يُورث الفقر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**واعتياد الكذب يُورث الفقر**»[٤].

هذا كلّه بحسب الآثار والعواقب في الدنيا.

وأمّا عاقبة الكذب في الآخرة؛ فإنّه من المعاصي التي أوعد الله عزّ وجلّ عليها بالنار، فقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، وتقدّم ـ فيما سبق ـ أنّ معنى الويل، إمّا الوعيد، وإمّا وادٍ في النار؛ وعلى كلا المعنيين فإن نتيجة ذلك هو جهنّم وبئس المصير، وقد أكّدت الروايات هذه العاقبة السيّئة للكذّاب، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إيّاكم والكذب، فإنّه يهدي إلى الفجور،**

---

(١) البحراني، ابن ميثم، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ص٢١١.
(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٣٥٩.
(٣) المصدر نفسه: ص٣٨٩.
(٤) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ص٥٠٥.

وهما في النار»[١]، وسأل رجل النبيّ ﷺ عن عمل الجنّة، قال ﷺ: «**الصدق؛ إذا صدق العبد برّ، وإذا برّ آمن، وإذا آمن دخل الجنّة**»، قال: يا رسول الله، وما عمل النار؟ قال ﷺ: «**الكذب؛ إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار**»[٢].

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٨.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص١٧٦.

الفصل السادس :

دواعي الكذب ومبرّراته

الفصل السادس: دواعي الكذب ومبرّراته

من حقّنا أن نتساءل لماذا الكذب؟ وما هو الداعي الذي يدعو الإنسان إلى ذلك؟ وما هي المبرّرات؟

هناك عدّة دواعٍ ومبرّرات، بعضها إيجابي؛ ولأجله استثنيت بعض الحالات من حرمة الكذب، وبعضها الآخر سلبي، ندرس فيما يلي السلبيّ منها والتي يرى أصحابها أنّها مبرّرات؛ لنرى هل تصلح فعلاً أن تكون مبرّراً للكذب، وسبباً يدعو إلى إخفاء الحقيقة عن الآخرين؟

١ـ حماية المكانة الاجتماعيّة

ونعني بالمكانة الاجتماعيّة: المركز الذي يحتلّه الإنسان في المجتمع، كالمسؤول، والمدير، والأُستاذ، والطبيب، والمهندس، ورئيس سياسي أو حزبي، أو رئيس قبيلة، أو قائد مجموعة، أو وجهٌ اجتماعيٌ معروفٌ، أو أب، أو أُم، ونحو ذلك من المواقع الاجتماعيّة التي يحتلّها غالبيّة الناس، وقد يحتلّ البعض أكثر من موقع، فهو مدير في مدرسة، وأب لأُسرة، أو هو زعيم سياسي ورئيس قبيلة في نفس الوقت.

ومن الطبيعي أن يحافظ الإنسان على هذه المكانة، ويحرسها قدر المستطاع، بل أحياناً يقوده هذا الحرص إلى التضحية بنفسه من أجل ذلك؛ لأنّها ـ أي: هذه المكانة ـ هي رصيده وقيمته بحسب اعتقاده.

ولكن ليتصوّر الإنسان ذو المكانة الاجتماعيّة المرموقة نفسه، بعد أن يطلّع المجتمع على كذبه وزيفه، كيف سيكون حاله؟ وأيّ منزلة ستبقى له؟

وكم من شخص معروف له مكانته قد خسرها بسبب كذبة صدرت منه؟ كما أنّ التاريخ يُخبرنا أنّ الصدق هو مَن صنع الشخصيات، ورفع درجاتهم، وأنّه الصفة الملاصقة لكلّ الأنبياء والمصلحين، فهذا رسول الله ﷺ قد عُرف قبل البعثة بـ (الصادق الأمين)، وهي واحدة من صفاته، ولكنّها هي التي كانت تتحدّث بها الناس قبل الإسلام، وبها قد اشتُهر، وهذا أبو ذرٍّ رضي الله عنه الصحابي الجليل ما مدحه النبيّ الأكرم ﷺ إلّا بصدق اللهجة، حيث قال: «**ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرٍّ**»[1].

إذن؛ بالصدق يحفظ الإنسان مكانته، وبقول الحقيقة يرفع من قيمته في أعين الناس، وليس بالكذب.

٢ـ حفظ الخصوصيّة

لكلّ إنسانٍ خصوصيّاته الشخصيّة، كعقيدته وأفكاره ونواياه وسلوكه ونشاطه وعائلته ومكان عمله وانتمائه وعلاقاته، ونحو ذلك ومن الطبيعي أنّه لا يَسمح للآخرين أن يطّلعوا عليها، أو لا يسمح لهم بالاطّلاع على بعضها، أو يسمح لبعضهم دون بعض، ولا شكّ في أنّ ذلك من حقّه، ويفترق هذا المبرّر عن سابقه أنّ السابق يقوم على أساس حماية المكانة والمنزلة الاجتماعيّة، بينما في هذا المبرّر ليس الهدف حماية المكانة الاجتماعيّة؛ وإنّما الهدف حفظ الخصوصيّات بغضّ النظر عن المكانة.

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد : ج٢، ص١٧٥.

والسؤال المطروح يقول: هل يحقّ له من أجل حماية خصوصيّاته أن يستعمل الكذب؟ فلو سأله أبوه عن علاقاته وارتباطاته، ونشاطه، فهل يحقّ له أن يكذب عليه، ويُخفي عنه الحقيقة بداعي الخصوصيّة؟ وهل يحقّ للبنت أن تُخفي عن والدتها حقيقة علاقاتها وعملها وسلوكها ونوع صديقاتها؟ وهل يحقّ للموظّف الحكوميّ أو غير الحكوميّ ـ كالذي يعمل في شركة أهليّة أو مؤسّسة لا ربط لها بالحكومة ـ أن يُخفي أسرار العمل فيما لو سُئل عن ذلك؟

لا نستطيع أن نُجيب عن جميع هذه الأسئلة بجواب واحد، بـ (نعم) أو (لا)؛ لأنّها تختلف بحسب نوع الخصوصيّة، فالخصوصيّة إذا كانت من نوع السرّ كالمعلومات الأمنيّة مثلاً، أو أسرار العمل التي ليس من المصلحة كشفها؛ فحينئذ يجوز فيها الكذب فيما لو لم يمكن التورية أو الجواب بطرق دبلوماسية تجنّب الإنسان كشف الأسرار والكذب معاً؛ لأنّها حينئذٍ تدخل في إطار الضرورة التي تُبيح الكذب ـ كما ذكرنا ذلك في المستثنيات ـ وأمّا لو لم تكن الخصوصيّة بحدّ السرّ الذي لا يمكن البوح به، فالكذب فيها ليس له ما يبرّره ويُجيزه، وقد علمنا من خلال النصوص أنّ الكذب حرام مطلقاً إلّا ما قد يُستثنى في بعض الحالات التي ذكرناها في فصل (مستثنيات حرمة الكذب).

إذن؛ الكذب لمجرّد حماية الخصوصيّة ليس أمراً جائزاً ما لم تترتّب مفاسد على قول الصدق والحقيقة، ولم يمكن التورية، بل ربما يكون ذلك ـ أي: حفظ الشخصيّة، والكذب من أجلها ـ عاملاً من عوامل السقوط والانحراف،

أو سبباً من أسباب التورّط والضياع، فلعلّ الشاب يقوده النزق والطيش وأصدقاء السوء إلى ممارسة الرذيلة أو السرقة أو شرب المخدّرات، وكان يُخفي ذلك عن أبيه، ولو كان قد أخبره مسبقاً؛ لاستطاع منعه أو على الأقل نصيحته، أو تلك الشابّة التي أخفت عن أهلها علاقاتها المشبوهة حتّى وقعت في نهاية أمرها في ورطة لا تستطيع حلّها؛ كلّ ذلك لأنّها قد أخفت عنهم تلك العلاقات وتلك السلوكيّات.

٣ـ الخشية من ردود الأفعال

من المبرّرات التي تدعو الإنسان أحياناً إلى الكذب الخوف من ردود الأفعال، والخشية من غضب الآخرين، ويقف هذا المبرّر وراء كذب الكثير من الأبناء على الأبوين؛ لأنّهم يخشون العقوبة، فالذي لم يُوفّق للنجاح في الامتحان يخفي نتيجته على أبويه، وإذا سُئل يقول: لقد نجحت، أو لم تُعلن النتائج، أو غير ذلك من الأكاذيب.

وهذا المبرّر إذا لم يبلغ حدّ الضرر أو احتماله بشكل معتدٍّ به، لا يجوز معه الكذب، وينبغي الالتفات إلى أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ الخشية من ردود الأفعال قد تكون أحياناً ـ بل غالباً ـ عاملاً من عوامل الفشل، ولنبقى في مثال إخفاء النتيجة، فالذي يُخفي نتيجة امتحانه عن أُسرته ما الذي يتوقّع أن يحصل له فيما بعد؟ إنّه لا يفكّر إلّا في ذلك المأزق الوقتي، ولكنّه لا يفكّر في المأزق المستقبلي، وما الذي سيؤول إليه الأمر،

إنّه لم يفكّر في عاقبة إخفاء النتيجة إلى نهاية العام الدراسي، وإنّه سيضطرّ إلى إعادة السنة، وأنّ العقوبة التي تنتظره ستكون أشدّ؛ لأنّه لم يُوفّق للنجاح أوّلاً، ولأنّه قد أخفى الحقيقة عن أهله ثانياً، بينما لو كان قد أخبرهم الحقيقة لربّما سيتدارك الأهل الموقف، ويرفعون من مستواه ويشجّعونه.

إنّ الكذب بإخفاء نتيجة الامتحان هو إخفاق آخر يتعرّض له الإنسان في حياته، والصحيح أن يستفيد الإنسان من تجارب الآخرين في الحياة، وكيف يتغلّبون على الأخطاء التي يقعون بها؛ وذلك لا يتحقّق بإخفاء الحقيقة.

الأمر الثاني: ألا يجدر بالإنسان المؤمن أن يخشى ردود الله على كذبه، ومعصيته بذلك؟ ألا يجدر بالمؤمن أن يفكّر بلقاء الله ووقوفه بين يدي الله تعالى، ومساءلته عن كذبه؟

ألا يجدر بالمؤمن أن لا يخشى الناس أكثر من خشية الله تعالى، المطّلع على السرّ والعلانية؟

إذن؛ الخوف من ردود الأفعال إذا لم يبلغ حدّ الضرر أو قريباً منه لا يكون مبرّراً للكذب.

٤ـ التأثير على نفسيّة السامع

ولهذا المبرّر مستويان، وهما:

أ ـ المستوى الفردي: ونعني به التأثير على شخص معيّن، إمّا إيجاباً: مثل أن نزور المريض ونحاول أن نرفع من معنوياته بأن نقول له: إنّك لست

مريضاً، وهذا مجرّد عارض بسيط سرعان ما يزول، مع أنّ الحقيقة غير ذلك؛ إذ هو مصاب بمرض عضال يصعب الشفاء منه، أو نقول لامرأة مات ولدها وهي لا تعلم: إنّه حيٌّ وسيرجع عمّا قريب. أو سلباً: مثل أن تقول المرأة لزوجها: لم أرَ منك خيراً منذ تزوّجتك. فتقول ذلك كذباً، وإلّا فهو محسن لها في أغلب الأوقات، أو يقول صاحب العمل لعامله: أنت لا تنفع في أيّ شيء، مع أنّه ينفع ـ بلا شكّ ـ في بعض الأعمال.

وهذا الأُسلوب كذب محض، محرّم بلا شكّ؛ فإنّ رفع الجانب المعنوي لدى الآخرين لا يتوقّف على الكذب عليهم، فهناك طرق كثيرة لرفع المعنويات وتحسين المردود النفسي، فيمكن أن تقول للمريض: إنّك ستشفى إن شاء الله، وهو ليس كذباً لأنّه معلّق على مشيئة الله عز وجل وإرادته، ويمكن أن نصبّر الأُم، أو نخفّف عنها بأُسلوب بعيد عن الكذب، يُضاف إلى ذلك أنّ التأثير النفسي الإيجابي عن طريق الكذب محدود ومؤقّت، وله نتائج عكسيّة، فبعد أن يعلم المريض حقيقة الأمر لربّما تسوء حالته أكثر؛ لأنّه كان يعيش أوهاماً وتخيّلات لا واقع لها، وكذلك حال الأم الفاقدة لولدها.

وأمّا التأثير السلبي، فهو بالإضافة إلى كونه كذباً محرّماً، قد يسبّب إيذاءً للمؤمن أو إخافته، وقد ورد النهي في الروايات عن ذلك، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «**قال الله عزّ وجلّ: ليأذن بحرب منّي مَن آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي مَن أكرم عبدي المؤمن**»[1]، فالذي يقول لمؤمن مصاب بمرض بسيط: إنّ مرضك لا يُشفى، كذباً؛ فهو من أوضح مصاديق الإيذاء.

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٥٠.

ب ـ المستوى الجماعي: ونعني به التأثير على المجتمع، أو على شريحة منه، أو على جماعة محدّدة، وهو أيضاً تارة يكون تأثيراً إيجابيّاً، وأُخرى سلبيّاً.

والتأثير الإيجابي النوعي مثل: أن يقول الأستاذ لتلاميذه تشجيعاً لهم: كلّكم أكفّاء ومجدّون ومهذّبون، وهو يعلم أنّ بعضهم ليسوا كذلك، أو يقول المتكلّم ـ وهو يتحدّث مع الحاضرين عن بعض السلبيّات ـ: ولا أقصد الحاضرين، فإنّكم جميعاً منزّهون عن ذلك، مع أنّه يعلم أنّ حديثه موجّه إلى بعضهم.

وأمّا التأثير السلبي، فمن أمثلته: ما أذاعه أنصار عبيد الله بن زياد في جماعة مسلم بن عقيل عليه السلام عندما حاصروا قصر الإمارة، من أنّه قد أقبل عليكم جيش من الشام جرّار لا قِبَل لكم به؛ ممّا أثّر ذلك في تفتيت الجماعة، وتخاذلهم عن نصرة مسلم بن عقيل عليه السلام[1].

وهذا اللون من الأكاذيب ذات التأثير الجماعي بقسميه السلبي والإيجابي هو المعتمد في وسائل الإعلام للدول أو بعض الجهات، أو الجماعات السياسية وغيرها، فإنّهم يعتمدون على مثل هذه الأكاذيب في التأثير الإيجابي على أتباعهم، وفي التأثير السلبي على أعدائهم.

وإذا بلغ هذا النوع حدّ الضرورة أو كانت فيه مصلحة مهمّة تتغلّب على مفسدة الكذب أو يدخل تحت عنوان (الخدعة في الحرب)؛ كان الكذب حينئذٍ جائزاً، وإلّا فهو حرام.

---

(١) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد: ج٢، ص٥٣.

٥ـ الحرب الناعمة

المقصود من الحرب الناعمة: هي استخدام كافة الوسائل المتاحة للتأثير على الآخرين بلا حاجة إلى استخدام القوّة العسكريّة.

فهي إذن استبدال السلاح بالإعلام، والجيوش بالعملاء، والاحتلال المادّي بالاحتلال الفكري والأيديولوجي، واحتلال الأبدان باحتلال النفوس والأرواح والعقول، وتكريس هزيمة الفرد والمجموع في أيّ قارة أو خارطة، من دون حاجة لاستخدام القوّة العسكرية[1].

وهذه الحرب تعتمد في بعض أساليبها على نشر الأكاذيب، وإخفاء الحقائق عن الناس، فهل يُعدّ هذا مبرّراً من مبرّرات الكذب؟

ذكرنا ـ فيما سبق ـ أنّ من الموارد التي استُثنيت من حرمة الكذب هي المخادعة في الحرب، وذكرنا ـ هناك أيضاً ـ أنّه يمكن أن نتوسع في فهم الحرب ولا نقتصر على الحرب العسكريّة فقط، فهناك الحرب الناعمة؛ وهي حرب ثقافيّة فكريّة نفسيّة؛ وعليه؛ فيجوز للمسلمين أن يستخدموا في مثل هذه الحروب الكذب كوسيلة للتأثير على الخصم.

---

(١) الحرب الناعمة، طرائق الغزو الجديدة، مقال منشور على شبكة الإنترنت، على موقع الميادين بتاريخ ١١ شباط ٢٠١٦. http://www.almayadeen.net/episodes/

٦ـ بلوغ الغاية

الكثير من الناس ـ مع الأسف ـ يؤمنون بالمبدأ الميكافيلّي القائل: (الغاية تبرّر الوسيلة)، وأنّ الغاية يجب تحصيلها بأيّ ثمن، وبأيّ طريق، ولو كان ذلك على حساب الآخرين، وعلى حساب المبادئ والقيم؛ وعليه؛ فيصحّ الكذب لتحقيق ذلك. وهذا المبدأ في الحقيقة يتنافى ـ ليس فقط مع التشريعات السماويّة، بل ـ مع القيم الإنسانيّة أيضاً، فبأيّ حقٍّ ومبرّر أعتدي على حقوق الآخرين بحجّة تحصيل الغاية والهدف؟ وبأيّ حقٍّ أستبدل ورقتي الامتحانيّة بورقة طالبٍ مجدٍّ بهدف تحصيل النجاح والتفوّق؟ وبأيّ حقٍّ أشتري أصوات الناخبين لغرض الوصول إلى كرسيّ الحكم؟

هل يقبل أحدنا ذلك على نفسه؟! وهل تقبل أن يسلبك غيرُك حقّك بداعي تحقيق هدفه وغايته؟!

وفي أيّ منطق تكون الغاية مبرّراً للكذب، ومبرّراً للنفاق، ومبرّراً لأكل أموال الناس بالباطل؟!

لِمَ لا يكون الصدق والوفاء وحفظ الأمانة والحقوق هي وسائل لتحصيل الغايات، وتحقيق الأهداف؟!

وهل نجد في سيرة النبيّ الأكرمﷺ وأهل بيتهعليهم السلام ما يثبت أنّهم قد طبّقوا هذه القاعدة؟!

كلّا، لم نجد ذلك، بل إن الذي وجدناه هو خلاف ذلك، فهذا معاوية بن أبي سفيان في حربه مع أمير المؤمنينعليه السلام قد منع عن جيش العراق الماء

عندما ملكه، بُغية إهلاكهم عطشاً، ولكنّ الإمام عليه السلام لم يمنع الشاميّين منه بعدما ملكه، وقال لأصحابه حينما قالوا له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك. فقال: «**لا، خلّوا بينهم وبينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، سنعرض عليهم كتاب الله، وندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا، وإلّا ففي حدّ السيف ما يُغني إن شاء الله**»[1].

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٣٣١.

الفصل السابع:

علاج الكذب أو الوقاية منه

الفصل السابع: علاج الكذب أو الوقاية منه

تعرّفنا ـ فيما مضى من حديث ـ على معنى الكذب وأنواعه، وعن حكمه وعواقبه، وعن مبرراته وأسبابه، وبقي الحديث عن علاجه وكيفية الخلاص منه، أو الوقاية من هذا الداء لمن لم يتورط به بعد، ويمكننا أن نمنهج الحديث ضمن النقاط التالية:

١ـ الخوف من الله تعالى

عندما يشعر الإنسان بوجود الله تعالى، وأنّه يراقبه، ويحسب عليه أنفاسه وكلماته، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى يعلم ما في نفس الإنسان من وساوس وأفكار وخيالات، فضلاً عمّا يصدر منه من قول أو فعل، وفي حديثٍ لأبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة دُفع إلى الإنسان كتابه، ثمّ قيل له: اقرأ**». قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: «**إنّ الله يُذكّره، فما من لحظة ولا كلمة، ولا نقل قدم، ولا شيء فعله، إلّا ذكره، كأنّه فعله تلك الساعة؛ فلذلك قالوا:** ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾»[2].

---

(١) ق: آية١٦ـ ١٨.

(٢) العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٢٨.

وليعلم الإنسان أنّ الشهود الذين يشهدون عليه كثيرون، وليس الله وحده هو مَن يشهد على الإنسان، فالذين يشهدون هم:

١ـ الله سبحانه وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[١].

٢ـ الملائكة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[٢].

٣ـ حواسّ الإنسان، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

وأمّا الكاذب، فهو يشهد على نفسه أيضاً؛ لأنّه يعلم أنّه كاذب، ففي كلام للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إنّ أوّل مَن يُكذِّب الكذّاب: الله عزّ وجلّ، ثمّ الملكان اللذان معه، ثمّ هو يعلم أنّه كاذب**»[٤].

فكلّ هؤلاء يشهدون على كذب الإنسان، فكيف له أن ينجو من المساءلة يوم القيامة؟!

والإنسان المؤمن ينبغي أن يستشعر وجود الله تعالى وحضوره في كلّ وقتٍ وآن، وفي كلّ مكان وزمان، يستشعر وجوده وإن كان لا يراه بعينه

---

(١) التوبة: آية١٠٥.

(٢) الأنعام: آية٦١.

(٣) النور: آية٢٤.

(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٣٩.

الباصرة الماديّة، وإنّما ينبغي أن يراه بعين البصيرة الثاقبة، وفي دعاء يوم عرفة يقول الإمام الحسين الشهيد عليه السلام: «**اللّهمّ اجعلني أخشاك كأنّي أراك ...**»[1].

وسأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين عليه السلام: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «**أفأعبد ما لا أرى؟!**»، فقال: وكيف تراه؟ فقال: «**لَا تُدْرِكُه الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، ولَكِنْ تُدْرِكُه الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمان**»[2].

٢ـ الرضا بقضاء الله والتوكّل عليه

أحياناً يكذب الإنسان ليحصل على المال والثروة الزائدة، لا لأنّه لو لم يكذب لمات جوعاً؛ وإنّما يتوصّل بالكذب إلى زيادة المال عنده وكثرته، مثل البائع الذي يكذب بُغية الزيادة في الربح، فهو يشتري السلعة بألف مثلاً، ولكنّه يقول للمشتري: لقد اشتريتها بألفين. ليبيعها بثلاثة آلاف مثلاً، أو يقول المشتري للبائع كذباً: إنّ هذه السلعة تُباع بألف. ليشتريها منه بأقلّ من قيمتها الحقيقيّة، وهكذا.

إنّ هؤلاء الأشخاص وأمثالهم يجهلون تماماً أنّ الأرزاق بيد الله تعالى، وأنّه هو مَن يقسمها ويوّزعها بين عباده، قال تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[3]. وما على الإنسان إلّا

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٢، ص٧٨.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ص٢٥٨.
(٣) الزخرف: آية٣٢.

السعي وطلب الرزق الحلال، وأن لا يقصّر في ذلك، ولكنّ مقدار الرزق إنّما يحدّده الله سبحانه وفق ما يراه صالحاً للعبد، وما على العبد إلّا التسليم، فكم من منقوص رابح، ومزيد خاسر[١].

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣].

ولعلّ الكذّاب يحصل بالكذب على ما يريد من المال وغيره من متاع الدنيا، ولكنّه لا يعلم ما الذي يُخفيه له البلاء كعقوبة على كذبه واحتياله! فلعلّ الله سيُصيبه ببلاء يذهب به كلّ ماله، مع الالتفات إلى أنّ كثيراً من المصائب والابتلاءات التي تُصيب الإنسان؛ إنّما هي بسبب ذنوبه ومعاصيه، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[٤]. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[٥].

---

(١) الري شهري، محمّد، ميزان الحكمة: ج٣، ص٢٤٤٦.
(٢) هود: آية٦.
(٣) يونس: آية١٠٧.
(٤) الروم: آية٤١.
(٥) الأعراف: آية٩٦.

ومن لطيف الأحاديث ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: «**كلّما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون؛ أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون**»[١].

٣ـ ترويض النفس على الصدق

من أهم المعالجات التي تخلص الإنسان من الظواهر السيئة وكلّ الذنوب والمعاصي، والسلبيّات التي يعتادها الإنسان في حياته ـ ليس للكذب فحسب ـ هي ترويض النفس على الطاعة، أو ترويضها على مخالفة العادة السيّئة التي قد اعتاد الإنسان على ممارستها، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**غيّروا العادات تسهل عليكم الطاعات**»[٢]، وفي حديث آخر: «**إنّ لسانك يقتضيك ما عوّدته**»[٣].

فالذي اعتاد أن يستيقظ متأخّراً؛ لأنّه ينام متأخّراً، أو لأنّه كثير النوم، يصعب عليه أداء صلاة الفجر في وقتها؛ لأنّه يصعب عليه الاستيقاظ فجراً، ومَن اعتاد على التدخين؛ يصعب عليه تركه، ومن اعتاد على لون معيّن من رفاهية العيش، وحياة الأغنياء؛ يصعب عليه أن يعيش في زهد وخشونة.

إذن؛ العادة لها سلطان كما في الحديث: «**للعادة على كلّ إنسان** فإذا اعتاد الإنسان على شيء؛ يصعب الإقلاع عنه، فلو اعتاد الإنسان على

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٧٥.
(٢) الليثي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٣٤٧.
(٣) المصدر السابق : ص١٤٢.
(٤) المصدر السابق : ص٤٠٣.

الكذب مثلاً، أو الغيبة والنميمة، أو سماع الغناء، أو تعاطي الكلمات النابية، فليس من السهولة أن يُقلع عن ذلك؛ إذ الأمر يتطلّب جهداً استثنائيّاً، ومراقبة شديدة، ومن بين تلك الأساليب النافعة في ترك المعصية، وتغيير العادة السيّئة، هو ترويض النفس على الطاعات والعادات الحسنة، فمَن عوّد نفسه على الاستيقاظ مبكّراً؛ سهل عليه أداء صلاة الفجر في وقتها، ومَن عوّد لسانه على الصدق وقول الحقيقة؛ أمكنه ترك الكذب وتجنّبه.

٤ـ التربية الصالحة للأبناء وتعليمهم الصدق

نحن نعلم أنّ «**كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»[1]، ومعنى ذلك: أنّ المولود يولد وهو فارغ الذهن من كلّ شيء، ولكنّه مستعدّ لتلقّي المعارف والعلوم والأفكار، فلا يوجد مولود يولد وهو ذو خُلق سيّئ أو فكر منحرف، ومن هنا تبرز أهمّية التربية ودور الأبوين في تنشئة أولادهم تنشئة صالحة أو طالحة، وحيث إنّ الولد لديه القابليّة في التأثّر بمحيطه الاجتماعي سلباً وإيجاباً؛ كان لا بدّ في التربية الصالحة من رعاية أُمور عدّة، لعلّ من أهمّها: القدوة الصالحة، فالذي يتولّى مهمّة التربية يلزم أن يكون نموذجاً يحتذي به الأبناء والمتعلّمون، ويقتدون به؛ لأنّ التربية تعتمد كثيراً على الجانب العملي، وليس فقط على سماع الحِكَم والمواعظ، فالأب ينبغي أن يكون قدوة في نظر أبنائه ومثالاً عالياً للأخلاق الرفيعة التي يأمرهم بها؛ ولهذا فعلى الآباء أنّ يربّوا أنفسهم أوّلاً، ويعلّموها ما يجب عليهم تعليمه لأبنائهم،

---

(١) البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٢، ص١٠٤.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1]، فالقرآن يأمر المربّين أن يبدأوا بأنفسهم أوّلاً ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ ولهذا قدّم النفس على الأهل.

والتجربة خير برهان، فكم من أبٍ يعاني من سلوك أبنائه، ويقول: إنّهم لا يحترمونني، ولا يسمعون كلامي، وعندما نراقب سلوك الأب؛ نجده يمارس ما ينهاهم عنه، فهو يأمرهم باحترامه وسماع كلامه، وهم يرونه لا يحترم أباه ولا يسمع كلامه، ويقطع رحمه، ويأمرهم بالصدق وعدم الكذب، ولكنّه أحياناً يكذب عليهم، وعلى غيرهم، ونشاهد في بعض الأحيان عندما يُطرق الباب، ويخرج إليه الابن، ويجد أحداً يطلب الأب، يعود الابن ليقول لأبيه: فلان على الباب، فإذا بأبيه يقول له: قل له: غير موجود!! ألا يكون هذا الأُسلوب تعليماً للكذب، ولكنّه بطريقة غير مباشرة؟! وفي الحديث عن النبيّ الأكرمﷺ: «**لا تلقّنوا الناس فيكذبون، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان. فلمّا لقّنهم ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ قالوا: أكله الذئب**»[2].

ونقرأ في روايات أُخرى: «**لا يصلح من الكذب جدّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيّه ثمّ لا يفي له**»[3].

---

(١) التحريم: آية٦.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٥، ص٣٧٢.

(٣) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص٥٠٥.

وروى عبد الله بن عامر، قال: دعتني أُمّي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أُعطكَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تُعطيه؟**»، قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنّك لو لم تُعطيه شيئاً كُتبت عليكِ كذبة**»[1].

ويُستفاد من هاتين الروايتين أمران:

الأوّل: شدّة حرمة الكذب، وأنّه لا يجوز التهاون به حتّى في مثل الصغائر من الأمور.

الثاني: إنّ الكذب على الصبيّ نوع من التربية الفاسدة، فإنّه في المستقبل سيتعلّم الكذب من أبويه، وسيكذب هو عندما يكبر على أولاده.

وهكذا المعلّم في المدرسة، ينبغي له أن يهتم بالإضافة إلى الجانب العلمي بالجانب الأخلاقي للتلميذ، ولكن بشرط أن يبدأ بنفسه أوّلاً؛ لأنّ التلميذ يتأثّر كثيراً بأخلاق أُستاذه سلباً أو إيجاباً.

إذن؛ لكي نصنع مجتمعاً خالياً من الكذب ومساوئه؛ علينا أن نهتمّ بالجانب الأخلاقي لأبنائنا وتلاميذنا، وأن نحرص على تعليمهم الصدق، من خلال سلوكنا نحن، وتشجيعنا لهم بشكل دائم.

---

(١) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج٢، ص٤٧٥.

٥ـ الاطّلاع على مساوئ الكذب وعواقبه

إذا التفت الإنسان العاقل إلى مساوئ الكذب وآثاره السيّئة التي تحدّثنا عنها فيما سبق؛ فإنّه سيُدرك حجم الخطأ الذي سيرتكبه عندما يكذب، ويمكن تلخيص المساوئ بما يلي :

١) سقوط الكذّاب من أعين الناس.

٢) يضع نفسه موضع التهمة دائماً، فإنّ الناس لا يصدّقونه حتّى لو كان صادقاً فيما يقول.

٣) الفقر وقلّة الرزق.

٤) القلق والتوتّر، وعدم الراحة والاطمئنان؛ خوفاً من انكشاف كذبه.

٥) مع إصراره على الكذب، وعدم التوبة منه؛ تكون عاقبته في الآخرة النار.

ومع ملاحظة هذه العواقب الوخيمة كيف يمكن للعاقل أن يقدم على الكذب؟! وكيف للإنسان الذي لديه ذرة من الوعي والإدراك، أن يبقى مصرّاً على ممارسة الكذب والافتراء؟!

٦ـ اجتناب مجالسة الكذّابين.

ممّا ينفع كثيراً في التحرّز عن الكذب هو تجنّب مجالسة أهل الكذب والنفاق؛ فإنّ المرء على دين خليله، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم؛ فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه**»[1].

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٧٥.

ولخطورة مجالسة المنحرفين منع الإمام الهاديعليه السلام أحد أصحابه من مجالسة خاله؛ لأنّه كان منحرفاً في العقيدة، فقد روى الجعفري قال: «**سمعت أبا الحسن**عليه السلام **يقول: ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟**»، فقال: إنّه خالي، فقال: «**إنّه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يُوصف، فإمّا جلست معه وتركتنا، وإمّا جلست معنا وتركته؟**»، فقلت: هو يقول: ما شاء أيّ شيء عليَّ منه إذا لم أقل ما يقول؟! فقال أبو الحسنعليه السلام: «**أما تخاف أن تنزل به نقمة؛ فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى**عليه السلام**، وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه؛ ليعظ أباه فيلحقه بموسى، فمضى أبوه وهو يُراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر، فغرقا جميعاً، فأتى موسى**عليه السلام **الخبر، فقال: هو في رحمة الله، ولكنّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع**»[1].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «**لا ينبغي للمسلم أن يواخي الفاجر ولا الأحمق ولا الكذّاب**»[2].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام أيضاً قال: «**كان أمير المؤمنين**عليه السلام **إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يجتنب مواخاة ثلاثة: الماجن**[3] **والأحمق والكذّاب، فأمّا**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص٣٧٦.

(٣) «والماجِنُ عند العرب: الذي يرتكب المَقابح المُرْدية، والفضائح المُخْزِية، ولا يَمُضُّه عَذْلُ عاذِلِه، ولا تَقْريعُ من يُقَرِّعُه والمَجْنُ خَلْطُ الجِدِّ بالهزل ... ». ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١٣، ص٤٠٠.

الماجن؛ فيُزيّن لك فعله، ويُحبُّ أن تكون مثله، ولا يُعينك على أمر دينك ومعادك، ومقارنته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عليك عار. وأمّا الأحمق؛ فإنّه لا يُشير عليك بخير، ولا يُرجى لصرف السوء عنك، ولو أجهد نفسه، وربّما أراد منفعتك فضرّك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبُعده خير من قربه. وأمّا الكذّاب؛ فإنّه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث، كلّما أفنى أُحدوثةً مطّها[١] بأُخرى، حتّى أنّه يُحدِّث بالصدق فما يُصدَّق، ويُغري بين الناس بالعداوة، فيُنبت السخائم[٢] في الصدور، فاتّقوا الله وانظروا لأنفسكم»[٣].

وفي مقابل التحذير من مرافقة الكذاب نجد التأكيد على مجالسة أهل الصدق والوفاء، من المؤمنين الصالحين، فإنّ في مجالستهم خير الدنيا والآخرة، بهم ينتفع الجليس، ومنهم يسترشد ويتعلّم، فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح**»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت الحواريّون لعيسى: يا روح الله، مَن نُجالس؟ قال: مَن يُذكّركم اللهَ رؤيتُهُ، ويزيد في علمكم منطقُهُ، ويُرغّبكم في الآخرة عملُهُ**»[٥].

---

(١) أي: مدّها.

(٢)«والسَّخِيمةُ: الحِقْدُ والضَّغِينةُ». ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص٢٨١.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٧٦.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص٢٠.

(٥) المصدر السابق: ص٣٩.

وعن مِسْعَر بن كِدام قال: «**سمعت أبا جعفر**عليه السلام **يقول: لَمجلسٌ أجلسه إلى مَن أثقُ به أوثقُ في نفسي من عمل سنة**»[1].

٧ـ تجنّب الاستماع للعلماء الكذّابين

للعلماء أثر بالغ في نفوس الناس، وتأثير ساحر في عقائدهم وأخلاقهم؛ وما ذاك الاّ لما جُبلت عليه النفوس، وأقرّته العقول من الركون إلى قول العالم، ومراجعته عند الحاجة، ومن أجل ذلك كان صلاح المجتمع من صلاح العلماء وفساده من فسادهم، ففي الحديث «**صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأُمراء**»[2]، وممّا مُنيَ به المجتمع وجود علماء كذّابين، أو ممّن يدّعون العلم كذباً، وهؤلاء الكذّابون يشكّلون خطراً حقيقيّاً على أفكار الناس وسلوكهم؛ لأنّهم - كما قلنا ـ مدعاة للقبول عند الناس، وعليه فمراجعتهم والجلوس في مجالسهم ومخالطتهم والأخذ منهم؛ يقتضي التأثّر بهم ونقل أكاذيبهم ونشرها في المجتمع؛ ومن هنا نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون على ضرورة التمييز بين العالم العادل الثقة، والعالم المزيّف، فقد ورد في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام كلامٌ للإمام الصادق عليه السلام يتحدّث فيه عن الفرق بين علماء اليهود وعلمائنا، وبين عوامّهم وعوامّنا[3]، حيث قال: «**إنّ عوامّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الجامع الصغير: ج٢، ص١٠١.

(٣) المقصود من العامّي غير الفقيه، ولو كان مثقّفاً ومطّلعاً .

الصراح، وبأكل الحرام وبالرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات[١]. وعرفوهم بالتعصّب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق مَن تعصّبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقّه مَن تعصّبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم. وعرفوهم بأنّهم يقارفون المحرّمات، واضطرّوا بمعارف قلوبهم إلى أنّ مَن فعل ما يفعلونه فهو فاسق[٢]، لا يجوز أن يصدَّق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله؛ فلذلك ذمّهم [الله] لما قلّدوا مَن قد عرفوا، ومَن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ؛ إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوامّ أُمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبيّة الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك مَن يتعصّبون عليه [و][٣] إن كان لإصلاح أمره مستحقّاً، وبالترفّق بالبرّ والإحسان على مَن تعصّبوا له، وإن كان للإذلال والإهانة مستحقّاً. فمَن قلّد من عوامّنا [من] مثل هؤلاء الفقهاء؛ فهم مثل اليهود الذين ذمّهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم. فأمّا مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه،

---

(١) أي: كانوا يغيّرون الأحكام تبعاً للوساطات والمجاملات والمحاباة، ونحو ذلك.
(٢) أي: أنّ عوامّ اليهود علموا بحسب هذه الشواهد أنّ علماءهم فسقة، لا يجوز تصديقهم.
(٣) إضافة يفترضها السياق.

فللعوامّ أن يقلّدوه. وذلك لا يكون إلّا [في] بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنّ مَن ركب من القبائح والفواحش مراكبَ فسَقَةِ فقهاءِ العامّة؛ فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً، ولا كرامة لهم، وإنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنّا أهل البيت لذلك؛ لأنّ الفسقة يتحمّلون عنّا، فهم يحرّفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء على غير [مواضعها و] وجوهها؛ لقلّة معرفتهم وآخرين يتعمّدون الكذب علينا ليجرّوا من عَرَض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنّم.

ومنهم قوم نُصّاب لا يقدرون على القدح فينا، يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة؛ فيتوجّهون به عند شيعتنا، وينتقصون [بنا] عند نُصّابنا، ثمّ يُضيفون إليه أضعافه، وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا، التي نحن بُراء منها، فيتقبّله [المسلمون] المستسلمون من شيعتنا على أنّه من علومنا؛ فضلّوا وأضلّوهم.

وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه؛ فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وللمسلوبين عند الله أفضل الأحوال؛ لما لحقهم من أعدائهم.

وهؤلاء علماء السوء الناصبون المشبهون بأنّهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون، يُدخِلون الشكّ والشبهة على ضعفاء شيعتنا؛ فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحقّ المصيب ...»[1].

---

(١) تفسير الإمام العسكري: ص٢٩٩ ـ ٣٠١.

وفي هذا الحديث الشريف عدّة وقفات، نذكر منها:

١ـ إنّ العلماء على صنفين: عدول، وفسقة، يُعرف كلٌّ منهما بسلوكه وتصرّفاته، وعلى هذا الأساس ليس من الحكمة مراجعة كلّ عالم، فإنّ هناك المُدّعين الكذّابين، وهناك الجهلة المتلبّسين بلباس أهل العلم، فلا بدّ من التأكّد والوثوق قبل الاتّباع، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[١]، أنّ المقصود: فلينظر الإنسان إلى: «**علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه**»[٢].

إذن؛ فالإنسان مسؤول عن مصدر العلم والمعرفة، وأنّه عمّن يأخذه، فعليه أن يتحرّى عن العالم الذي يأخذ عنه العلم، ومن الخطأ أن يثق بكلّ قائل، ويصدّق بكلّ ناطق، فهناك مَن يحوك الكذب، ويزيّف الحقائق، وهناك الجاهل المدّعي، وكتب التاريخ مليئة بقصص الأُمم التي وقعت ضحيّة أُولئك الكذّابين والدجّالين، في مختلف العصور والأزمان.

وعلى هذا الأساس؛ فالمكلّف مسؤول عن المعلومة التي يأخذها، وينشرها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٣]، وفي الحديث النبويّ الشريف: «**كفى بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكلّ ما يسمع**»[٤]؛ لأنّ بعض ما يسمعه من الناس ليس بصحيح، فإذا حدّث

---

(١) عبس: آية ٢٤.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥٠.
(٣) الإسراء: ٣٦.
(٤) الصدوق، محمّد بن علي، معاني الأخبار: ص١٥٩.

به كان كاذباً، فمن الخطأ أن ينقل الإنسان كلّ ما يسمعه، ويروي كل ما يطّلع عليه؛ لأنّ الكثير منه كذب، وهذه الظاهرة مع الأسف من الظواهر المنتشرة في هذه الأيّام بشكل ملحوظ، فعندما يقرأ البعض منشوراً في بعض المواقع على شبكة الإنترنت، كـ(الفيسبوك) أو رسائل عبر (الواتساب) أو غير ذلك، فإنّه سرعان ما ينشرها على مختلف المواقع والمجموعات، أو حينما يسمع خبراً تراه يُسرع وبدون تروٍّ ولا تأنٍ إلى نشره، ولم يلتفت إلى أنّ الكثير من هذه المعلومات والرسائل مجرّد أكاذيب، وهو قد ساهم بنشرها، وسوف يُسأل يوم القيامة عن ذلك، ويُحاسب أشدّ حساب، فكم من شخص راح ضحيّة خبر مكذوب، وكم من عرض هُتك بسبب كذبة تناقلها الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

٢ـ العمل الذي يقوم به العالم المزيّف هو أن يخلط الحقّ بالباطل، ويُظهره على أنّه حقٌّ كلّه، فهو يتعلّم من علوم أهل البيت عليهم السلام، فيقرأ رواياتهم، ويطّلع على تراثهم، ولكنّه يأخذ منه ما يحقّق له الغاية التي يريدها، وهي اتّباع الناس له، ثمّ يقودهم إلى دهليز مظلم لا يعرف نهايته حتّى هو نفسه، قال الله تعالى حكاية عن السامري الذي أضلّ قوم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ

(١) ق: آية١٦ـ ١٨.

يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾[1]، فهو يشرح العمل الذي قام به، حيث أخذ قبضةً من أثر الرسول ـ وهذا هو الحقّ ـ فنبذتها، وكذلك سوّلت لي نفسي ـ وهذا هو الباطل ـ وفي هذه الأُمّة يقوم علماء السوء بتعلّم علوم أهل البيت عليهم السلام، «**فيتوجّهون به عند شيعتنا ... ثمّ يضيفون إليه أضعافه، وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن بُراء منها، فيتقبّله** [المسلمون] **المستسلمون من شيعتنا على أنّه من علومنا فضلّوا وأضلّوهم**».

إذن؛ فمن الضروري أن نجتنّب مجالسة العالم المزيّف والأخذ بقوله، ويلزمنا أن نتحرّى عن العالم العادل الذي يلزمنا قوله.

٨ـ التورية

تحدثنا عن تعريف التورية ومعناها في الفصل الأوّل في صدد حديثنا عن تعريف الكذب وتحديد معناه، وذكرنا هناك بعض أمثلتها وتطبيقاتها، وفي هذا المكان نحتاج إلى التورية كعلاج يمكن من خلاله أن نتجنّب الكذب، ونبتعد عنه قدر الإمكان، فإنّه قد أوضحنا هناك أنّ التورية إمّا أن لا تكون من الكذب أساساً وأمّا أن تكون منه، ولكنّ الدليل قد دلّ على جوازها، ولمعرفة أن الدليل هل دلّ على جوازها مطلقاً، وفي كلّ الأحوال أو في حال الضرورة فقط؟ هناك اختلاف بين الفقهاء في هذه النقطة؛ سنذكر بعضها ولكن بعد أن نذكر هذين المثالين:

---

(١) طه: آية٦٩.

فمن أمثلة التورية: أن تقول لشخص أراد أن يقترض منك مبلغاً من المال مثلاً، ليس في بيتي هذا المبلغ، مع أنك تملكه في المصرف مثلاً، فالسائل قد فهم أنّك لا تملك هذا المبلغ إطلاقاً كما هو ظاهر الجواب، ولكنّك لم تقصد ذلك، وإنّما قصدت أنّه ليس في بيتك.

أو تقول لشخص أراد أن يقدّم لك طعاماً معيّناً: لا أشتهي. وأنت تقصد أنّك لا تشتهي هذا الطعام المعيّن، ولكن ظاهر كلامك أنّك لا تشتهي أيّ طعام.

وقد ذكر عَلَمان من أعلام الأخلاق أنّ التورية ليست جائزة على إطلاقها، فلا تجوز في كلّ مورد، وإنّما تجوز عند الاضطرار والحاجة إلى الكذب، فمتى ما اضطرّ الإنسان إلى الكذب واحتاج إليه؛ تعيّنت عليه التورية، ومع تعذّر التورية يجوز الكذب حينئذٍ.

وبتعبير أوضح: يجوز الكذب في حال الحاجة والضرورة وتعذّر التورية.

قال المولى محسن الكاشاني (ت١٠٩١هـ) بعد نقله لأمثلة ومصاديق التورية: «**وهذا كلّه في موضع الحاجة، وأمّا في غير موضع الحاجة فلا؛ لأنّ هذا تفهيم للكذب، وإن لم يكن اللفظ كذباً، وهو مكروه على الجملة ...**»[1].

وقال المولى محمّد مهدي النراقي (ت١٢٠٩هـ): «**كلّ موضع يجوز فيه الكذب إن أمكن عدم التصريح به والعدول إلى التعريض**[2] **والتورية؛**

---

(١) الفيض الكاشاني، محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٥، ص٢٧٤.

(٢) التعريض خلاف التصريح.

كان الأوْلى ذلك. وما قيل: إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب، وإنّ فيها ما يغني الرجل عن الكذب. ليس المراد به أنّه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار؛ إذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به؛ لأنّ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه، وهذا موجود في الكذب بالمعاريض.

فالمراد أنّ التعريض يجوز إذا اضطرّ الإنسان إلى الكذب، ومسّت الحاجة إليه، واقتضته المصلحة في بعض الأحوال في تأديب النساء والصبيان ومَن يجري مجراهم، وفي الحذر عن الظلمة والأشرار في قتال الأعداء.

فمن اضطرّ إلى الكذب في شيء من ذلك فهو جائز له؛ لأنّ نطقه فيه إنّما هو على مقتضى الحقّ والدين، فهو في الحقيقة صادق، وإن كان كلامه مفهماً غير ما هو عليه، لصدق نيّته وصحّة قصده وإرادته الخير والصلاح، فمثل هذا النطق لا يكون خارجاً عن حقيقة الصدق؛ إذ الصدق ليس مقصوداً لذاته، بل للدلالة على الحقّ، فلا ينظر إلى قالبه وصورته، بل إلى معناه وحقيقته.

نعم، ينبغي له في هذه المواضع أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلاً يصدق اللفظ حينئذ أيضاً، وإن كان متشاركاً مع التصريح في تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع»[1].

---

(١) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج٢، ص٢٥٢ـ٢٥٣.

ومن الواضح أنّ هذين العالمينِ يصرّحان بأنّ التورية لا تجوز على إطلاقها وفي كل حال، فليس بمقدور الإنسان أن يورّي متى ما أحبّ ذلك. لا، ليس الأمر كذلك، وإنّما تجوز في حالات الحاجة والضرورة.

فمَن أراد أن يُسافر إلى مكانٍ معيّن لا يُحبّ أن يطّلع عليه أحد، وسأله أهله عن نيّته، فليس له أن يورّي طالما لا توجد ضرورة أو حاجة إلى الكذب، ومجرّد عدم رغبته في إطلاع الغير على نيّته؛ لا يبرّر الكذب لتكون التورية جائزة حينئذٍ.

وهناك من الأعلام مَن يظهر من فتاواه جواز التورية بشكل أوسع ممّا قاله هذان العالمان، منهم السيّد الخوئي، والسيّد السيستاني (دام ظلّه)[1].

وعلى هذا الأساس تجوز التورية في المثالين السابقين.

وبناءً على جواز التورية مطلقاً ـ أي: حتّى في غير صورة الحاجة والاضطرار ـ تكون التورية إحدى الحلول المهمّة لمعالجة الكذب؛ إذ يستطيع كلّ إنسان أن يورّي بدل الكذب متى ما أراد ذلك.

وفي القرآن شواهد للتورية، فمن ذلك ما جاء في قصّة نبيّ الله إبراهيم الخليل، وقصّة نبيّ الله يوسف الصدّيق.

---

(١) قال السيّد الخوئي: «نعم إذا تكلم بصورة الخبر ـ هزلاً ـ بلا قصد الحكاية والإخبار فلا بأس به ومثله التورية بأن يقصد من الكلام معنى له واقع ، ولكنه خلاف الظاهر». أُنظر: الخوئي، أبو القاسم الموسوي، منهاج الصالحين: ج٢، ص١٠، المسألة :٣٥ . وذكر مثل ذلك السيّد السيستاني (دام ظلّه). أُنظر: السيستاني، علي الحسيني، منهاج الصالحين: ج٢، ص١٥، المسألة :٣٨.

حيثُ سُئل الإمام الصادق عليه السلام: عن قول الله عزّ وجلّ في قصّة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، قال: «**ما فعله كبيرهم، وما كذب إبراهيم عليه السلام**». قيل: وكيف ذلك؟ فقال: «**إنّما قال إبراهيم: فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فإن نطقوا؛ فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا؛ فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم عليه السلام**». فسُئل عن قوله في سورة يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾. قال: «**إنّهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى إنّه قال لهم حين قالوا: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾، ولم يقل سرقتم صواع الملك، إنّما سرقوا يوسف من أبيه**». فسُئل عن قول إبراهيم: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾. قال: «**ما كان إبراهيم سقيماً، وما كذب؛ إنّما عنى سقيماً في دينه؛ أي: مُرتاداً**»[1].

ومن لطيف التورية ما نقله في البحار عن الاحتجاج، وهو ما روي عن أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّه قال: «**قال بعض المخالفين بحضرة الصادق عليه السلام لرجل من الشيعة: ما تقول في العشرة من الصحابة؟ قال: أقول فيهم الخير الجميل، الذي يحطّ الله به سيّئاتي، ويرفع لي درجاتي، قال السائل: الحمد لله على ما أنقذني من بغضك، كنت أظنّك رافضياً تبغض الصحابة، فقال الرجل: ألا مَن أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله قال: لعلّك تتأوّل ما تقول فيمَن أبغض العشرة؟ فقال: مَن أبغض العشرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فوثب فقبّل رأسه وقال: اجعلني في حلٍّ ممّا قذفتك به من**

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص١٠٤ـ ١٠٥.

الرفض قبل اليوم. قال: أنت في حلٍّ وأنت أخي، ثمّ انصرف السائل، فقال له الصادق عليه السلام: جوّدت لله درّك لقد أعجبت الملائكة من حسن توريتك، وتلفّظك بما خلّصك، ولم تثلم دينك، زاد الله في مخالفينا غمّاً إلى غمٍّ وحجب عنهم مراد منتحلي مودتّنا في بقيّتهم. فقال بعض أصحاب الصادق عليه السلام: يابن رسول الله، ما عقلنا من كلام هذا إلّا موافقته لهذا المتعنّت الناصب! فقال الصادق عليه السلام: لئن كنتم لم تفهموا ما عنى فقد فهمناه نحن، وقد شكره الله له، إنّ وليّنا الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا، إذا ابتلاه الله بمَن يمتحنه من مخالفيه؛ وفّقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويُعظم الله بالتقيّة ثوابه، إنّ صاحبكم هذا قال: مَن عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله؛ أي: مَن عاب واحداً منهم هم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال في الثانية: مَن عابهم وشتمهم فعليه لعنة الله، وقد صدق؛ لأنّ مَن عابهم فقد عاب عليّاً عليه السلام؛ لأنّه أحدهم فإذا لم يعب عليّاً ولم يذمّه فلم يعبهم، وإنّما عاب بعضهم ولقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين وشوا به إلى فرعون مثل هذه التورية، كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ونبوّة موسى وتفضيل محمّد صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمّة على سائر أوصياء النبيّين وإلى البراءة من ربوبيّة فرعون، فوشى به واشون إلى فرعون وقالوا: إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك، ويُعين أعداءك على مضادّتك. فقال لهم فرعون: ابن عمّي وخليفتي على ملكي ووليّ عهدي إن فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي، فإن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العقاب لإيثاركم الدخول في مساءته. فجاء بحزقيل وجاء بهم فكاشفوه

وقالوا: أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك وتكفر نعماه؟ فقال حزقيل: أيّها الملك هل جرّبت عليّ كذباً قطُّ؟ قال: لا. قال: فسلهم مَن ربّهم؟ فقالوا: فرعون. قال: ومَن خالقكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال: ومَن رازقكم الكافل لمعايشكم والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال حزقيل: أيّها الملك فأشهدك وكلّ مَن حضرك أنّ ربّهم هو ربّي وخالقهم هو خالقي ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا ربّ لي ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم، وأُشهدك ومَن حضرك أنّ كلّ ربٍّ وخالق ورازق سوى ربّهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيّته وكافر بإلهيّته، يقول حزقيل هذا وهو يعني أنّ ربّهم هو الله ربّي ، ولم يقل: إنّ الذي قالوا: إنّ ربّهم هو ربّي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومَن حضره، وتوهّموا أنّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا رجال الشرّ ويا طلاّب الفساد في ملكي، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي، وهو عضدي، أنتم المستحقّون لعذابي لإرادتكم فساد أمري وهلاك ابن عمّي، والفتّ في عضدي، ثمّ أمر بالأوتاد فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتد، وفي صدره وتد، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾[1] لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهم الذين وشوا بحزقيل إليه لما أوتد فيهم الأوتاد، ومشّط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط»[2].

---

(١) المؤمن: آية٤٥.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٨، ص١١ـ١٣.

والتورية واضحة في هذه الأمثلة.

ولكن على الرغم من جواز التورية فقهيّاً؛ إلا أنه لا ينبغي للمؤمن أن يستعملها إلّا إذا دعت الحاجة إليها؛ لأنّها تُوحي للسامع بالكذب، فإذا كان الأب أو الأُم يستعملانها كثيراً مع أولاهما أو أمامهما، فإنّ الأولاد سيعتادون على الكذب؛ لأنّ الذي يفهمون منهما الكذب لا التورية.

وقد نُقل عن بعضٍ أنّهم كانوا يتورّعون حتّى عن مثل التورية، فعن بعضهم أنّه كان لا يقول لابنته: أشتري لكِ سكّراً[1]، بل يقول: أرأيت لو اشتريت لكِ سكّراً. فإنّه ربّما لا يتّفق.

وكان بعضهم إذا جاء إلى داره مَن يكرهه قال لجاريته: قولي له: أُطلبه في المسجد، وكان لا يقول: ليس هاهنا لئلّا يكون كاذباً[2].

---

(١) يبدو أنّ المراد به: الحلوى، ونحوها.

(٢) أُنظر: الكاشاني، الملّا محسن، المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢٧٤.

الفصل الثامن:

ثلاث ظواهر اجتماعيّة

الفصل الثامن: ثلاث ظواهر اجتماعيّة

الكذب بنفسه يشكّل ظاهرة اجتماعيّة لافتة، وقد تحدّثنا ـ فيما سبق ـ عن جوانب مختلفة فيها، ولكن في نفس هذه الظاهرة توجد ظواهر بارزة أيضاً، تحتاج إلى حديث خاص، قد تكون لها انعكاسات سلبيّة في بقاء ظاهرة الكذب وديمومتها، وقد رصدنا ثلاث ظواهر مهمّة، نذكرها تباعاً:

الظاهرة الأُولى: الكذب عند الأطفال

تُعدّ ظاهرة الكذب عند الأطفال من الظواهر التي تشكّل مصدر قلق لدى الآباء والمربّين، وهم محقّون في ذلك؛ إذ كيف لا يقلق الأب على ولده الذي يحرص على بنائه وتربيته، وهو يراه يكذب؟ وكيف لا يقلق الأُستاذ على مستقبل تلميذه الذي يتلمّس فيه النبوغ والتفوّق، وقد اتّضح له أنّه يكذب في كثير من الحالات؟

فعلاً هي ظاهرة خطرة؛ لأنّ الطفولة مرحلة من مراحل النموّ وتلقّي المعرفة والأدب، فإذا ما اتجهت اتجاهاً خاطئاً؛ فإنّ من الصعب التصحيح بعد ذلك؛ لأنّ مَن شبّ على شيء شاب عليه، كما أنّ تعليم الأطفال مبكّراً مبادئ الأخلاق، وزرع المثل والقيم العالية في نفوسهم؛ يُسهم في تنشئتهم تنشئة صالحة، فإنّ التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر، وفي الحديث عن

أبي عبد الله عليه السلام: «**خير ما ورّث الآباء الأبناء الأدب**»[١]، وفي حديث آخر: «**إنّ الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضّة والذهب**»[٢].

ومن أجل أهميّة التربية الصالحة والتنشئة السويّة؛ نجد في كلمات أهل البيت عليهم السلام الكثير من التوجيهات القيّمة، والتعليمات التي تساعد الآباء والمربّين في عملهم التربوي.

وممّا يجدر الالتفات إليه أنّ الأئمّة عليهم السلام قد سبقوا علماء التربية الحديثة في بيان الأُسس المهمّة في العمل التربوي، وأشاروا إليها في كلماتهم قبل أكثر من ألف ومائتي سنة مضت، ويومها لم يكن هناك علم اسمه (علم التربية)، ولا توجد دراسات نفسيّة، ولا أبحاث علميّة وتجريبيّة، وليست الكلمات والروايات وحدها هي التي تشهد بتفوّقهم عليهم السلام في العمل التربوي، بل الجانب العملي والسلوكي لهم ولأبنائهم.

فالباحث في الشأن التربوي إذا ما أراد أن يدرس العمليّة التربوية عند أهل البيت عليهم السلام، وأنهم كيف كانوا يربّون أبناءهم؟ عليه أن يدرس الجانب السلوكي عند أبنائهم، وأن يأخذ عيّنات معيّنة قد ألقى التاريخ عليها ظلاله، فيقوم بدراستها، بالإضافة إلى دراسة النصوص الصادرة عنهم عليهم السلام.

وعند الحديث عن علاج الكذب عند الأطفال؛ سنُشير إلى جوانب مهمّة من الجوانب التربوية عندهم عليهم السلام تنفع في العلاج.

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٥٠.
(٢) الليثي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٤٣.

وقد تناول هذا الموضوع علماء النفس في دراسات مستفيضة، وهي دراسات نافعة جدّاً، سنستعرض أهمّ ما توصلوا إليه، مع مراعاة أمرين:

الأمر الأوّل: الابتعاد قدر الإمكان عن المثاليّة الزائدة في كيفيّة المعالجة التي تلمسّناها في بعض الدراسات.

الأمر الثاني: الإشارة في ضمن المعالجات إلى كلمات أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم النافعة في هذا المجال.

والحديث عن كذب الأطفال سيقع ضمن عناوين ثلاثة: (دوافعه وأسبابه)، و(أنواعه)، و(علاجه).

أولاً: دوافع الكذب لدى الأطفال وأسبابه

هناك عدّة دوافع تدفع الطفل للكذب، بعضها يختصّ بعمر معيّن، ومرحلة من مراحل الطفولة، قد يكون في بدايتها، وقد تكون فيما بعد، وبعضها يواكب الطفولة بكلّ مراحلها، وسنُشير إلى ذلك في حينه.

وقد ذكر المختصّون دوافع عدّة، نذكر أهمها:

الدافع الأوّل: الخوف من العقوبة

ويبرز هذا الدافع عند الأُسر التي تستخدم العقوبات الشديدة كثيراً في التعامل مع الأبناء، وكذا المؤسّسات التربويّة التي تستخدم العنف كثيراً؛ فيلتجئ الطفل إلى الكذب لتفادي العقوبة، وإذا ما نجح في ذلك؛ فإنّه سيعتاد عليه في قادم المواقف، كما أنّه سيتشجّع على ارتكاب المخالفات، والخروج عن ضوابط الأُسرة وقوانينها، أو ضوابط المدرسة، تحت غطاء الكذب، وتزوير

الحقيقة، وهذا الدافع لا يختصّ بعمر معيّن؛ فإن الطفل في جميع المراحل يجعل الخوف من العقوبة مبرّراً لكذبه.

الدافع الثاني: التقليد

عدّ المختصون التقليد ومحاكاة الآخرين دافعاً من دوافع الكذب عند الأطفال؛ إذ الكذب أمر كسبيّ، وليس أمراً فطريّاً أو وراثيّاً، فهو يأتي عن طريق التعلّم من الآخرين، فإذا ما شاهد الطفل أباه أو أُمّه وهما يكذبان؛ فإنّه سيتعّلم منهما ذلك.

ولكن هذا الذي ذكروه وإن كان صحيحاً جداً، وأنّ الأطفال يتأثّرون بالمحيط، إلاّ أنّه لا يمكن عدّه دافعاً يدفع الأطفال إلى الكذب، فالطفل لا يكذب لمجرّد أنّ الآخرين يكذبون، ما لم يكن له دافع يدفعه لإخفاء الحقيقة. نعم، التقليد والمحاكاة وسيلة لتعلّم الكذب، فالذي يتعلّمه الطفل من الآخرين: كيف يكذب؟ لا لماذا يكذب؟ نعم قد يعلّمونه لماذا يكذب؛ فيقولون له: اكذب حتّى لا تُعاقب، أو اكذب حتّى تحصل على ما تريد. ومن هنا؛ فليس من الصحيح عدّ التقليد بذاته من دوافع الكذب، والصحيح أنّه وسيلة من وسائل تعلمه.

الدافع الثالث: اكتساب هويّة مميّزة

لكي يُظهر الطفل نفسه بمظهر مميّز أمام الآخرين، يحاول تلميع صورته أمامهم، من خلال ما ينسبه لنفسه من قصص وبطولات وصفات لا واقع لها؛ فهو يستخدم الكذب ليكتسب مكانة ومنزلة عند الآخرين.

الدافع الرابع: العداء أو الولاء

يدفع الطفلَ إلى الكذب أحياناً عداؤه لطفلٍ آخر، أو لشخص ما، فيكذب حتّى يعاقبه الآخرون، أو يدفعه إلى ذلك الحب والولاء النفسي للآخر، فإنه يكذب ليجنّب أصدقاءه العقوبة، ويُبعد عنهم المسؤوليّة.

الدافع الخامس: تحصيل المكاسب

كثيراً ما يكذب الأطفال لتحصيل بعض المكاسب، فمثلاً يكذبون للحصول على فرصة للعب لا توفّرها لهم أُسرهم في كلّ الأوقات، أو يكذبون للحصول على حلوى قد حصلوا عليها قبل قليل، فيقولون: إنّنا لم نحصل عليها، وهكذا.

الدافع السادس: تجنّب المتاعب

عندما يأمر الأب ولده الصغير بعمل معيّن، كما لو أمره أن يحضر له كوباً من الماء، أو يذهب إلى الدكّان ليشتري سلعة معيّنة، فإنّه قد يلتجئ إلى الكذب تكاسلاً، فيقول مثلاً: لا أتمكّن من حمل الكوب؛ لأنّ يدي تؤلمني، أو إنّ الدكّان مغلق اليوم.

الدافع السابع: الشعور بالإهمال

عندما يشعر الطفل بإهمال الآخرين له، فلا يكترث بوجوده الآخرون، ولا يهتمّ به المعلّم في المدرسة؛ يستخدم الكذب كوسيلة لإثبات الذات، فمثلاً توجد عند بعض الأولاد مواهب معيّنة، مثل الرسم، ولكنّه لا يجد أحداً ينظر

في رسوماته، ولا يتلقّى أيّ تشجيع؛ لأنّ رسوماته دون الطموح، فيطلب من شخص آخر أكثر منه مهارة في الرسم ليرسم له لوحة يدّعي أنّه رسمها هو بنفسه، أو تطلب البنت من أُمّها أن تصنع لها عملاً مميّزاً، ثمّ تذهب به إلى المدرسة، لتدّعي أنّها هي مَن قامت بهذا العمل.

هذه عدّة دوافع مهمّة تدفع الأطفال لاستخدام الكذب.

وهناك غيرها يمكن ملاحظتها عند مراقبة سلوك الأطفال ونشاطهم.

ثانياً: أنواع الكذب

وللكذب عند الأطفال أنواع متعدّدة، وهي تختلف باختلاف الأسباب والموجبات التي تدفع الطفل إلى الكذب، ومن أبرزها:

١ـ الكذب الخيالي:

في مرحلة من مراحل الطفولة، عندما يبدأ ذهنه برسم الصور الخياليّة واختلاق القصص غير الواقعيّة؛ يبدأ لدى الطفل ما يُسمّى بالكذب الخيالي؛ حيث يُؤلّف القصص التي لا واقع لها، ويُخبر عن حوادث ليست حقيقية، ويمكن أن يكون الدافع الذي يدفعه لهذا النوع من الكذب هو لكسب هويّة مميّزة، تُثير إعجاب الآخرين به، وتجعله محطّ أنظارهم وعنايتهم، أو بسبب الإهمال الذي يشعر به، وعدم اكتراث الآخرين به، وأغلب الأحيان فإنّ هذا السلوك الذي يقوم به الطفل يرجع إلى عقدة قد تشكّلت بسبب ما ذكرنا من إهمال أو عدم فهم الطفل فهماً يستجيب لحاجاته، فيحدث عنده شعور بالنقص؛ ولذلك يحاول تعويض ذلك عن طريق الكذب، ورسم صور عن نفسه غير حقيقيّة.

٢ـ الكذب الالتباسي:

هناك مرحلة يمرّ بها الطفل في أوائل طفولته، تلتبس عنده الحقيقة والخيال، فعندما يسمع قصّة مشوّقة، يأتي في اليوم الثاني ليرويها كقصّة قد عاشها هو، أو حدثت معه حقيقة، أو يُدخل عليها أحداثاً أو شخصيات ليست في القصّة؛ كلّ ذلك لجذب انتباه الآخرين وإعجابهم، أو لذهنه الخلاّق، ولعلّ المناسب عدم عدّ هذا الكلام أو التصرّف من الكذب؛ لانتفاء القصد في الكثير من الأحيان، فإنّه لا يتعمّد الكذب، وإخفاء الحقيقة؛ وإنّما قد توهّم أنّها كذلك، فهي أشبه بالحلم الذي يراه النائم.

٣ـ الكذب الادّعائي:

حينما يشعر الطفل بالإهمال وعدم اهتمام الآخرين به، يحاول من خلال الكذب، لفت انتباههم واهتمامهم، فيتظاهر بالمرض؛ ليحصل على مزيد من العطف والرعاية، أو حينما يذهب مع أُمّه ـ مثلاً ـ إلى بيت ليس فيه طفل يلعب معه، أو ليس فيه ما يُثير اهتمامه، أو لا يجد فيه أحداً يهتمّ به، يدّعي أنّه جائع، أو يُريد الحمّام، وهو في الحقيقة لا يحتاج إلى ذلك، ولكنّه يُحاول التخلّص من المكان، لعدم الاهتمام والرعاية.

٤ـ الكذب الانتقامي:

أحيانا يكذب الطفل ليتّهم طفلاً آخر أو شخصاً ما؛ لتتمّ عقوبته. ودافعه هو الغيرة أو الإحساس بالتمييز بينه وبين الآخر، وكثيراً ما يحدث ذلك بين الإخوة، عندما يتعامل الأبوان مع الأولاد بنوع من التمييز وعدم العدل

والإنصاف، فأحياناً يُولون بعض الأبناء اهتماماً خاصاً، ورعاية خاصة، وتعاملاً مميّزاً على حساب الأبناء الآخرين؛ وهذا في الحقيقة سلوك في غاية الخطورة؛ لأنّه يخلق حالة عدائيّة بين الأبناء، ومن أوضح الأمثلة على ذلك: ما تحدّث عنه القرآن الكريم في قصّة النبيّ يوسف عليه السلام وإخوته، وكيف حاولوا قتله عندما شعروا بتميّزه، واهتمام أبيه يعقوب عليه السلام به، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾[1].

٥ـ الكذب المَرَضي:

أحياناً يتحوّل الكذب عند الأطفال إلى حالة مرضيّة مستعصية، فهم يكذبون دائماً، لسببٍ وبدونه، وهي حالة مرضيّة، يجب أن يُتعامل معها كما يُتعامل مع بقيّة الأمراض النفسيّة، كالتوتّر والقلق، وانفصام الشخصيّة، والتوحّد، وغيرها من الأمراض التي تحتاج لمختصّين، ومرجع هذا النوع من الكذب إلى عدم ثقة الأهل بالطفل، إلى درجة أنّه حتّى لو جاءهم بالصدق لكذّبوه؛ ممّا كوّن لديه قناعة بذاته، وهو أنّه كذّاب، فأصبح لا يُبالي لو قيل له: أنت كذّاب.

---

(١) يوسف: آية٨ ـ ٩.

ثالثاً: علاج الكذب

تحدّثنا ـ فيما سبق ـ عن دوافع الكذب عند الاطفال، وتعرّفنا على أنواعه وأشكاله، وبقي علينا أن نعرف كيف لنا أن نُعالج هذه الظاهرة الخطرة عند أبنائنا أو أبناء مجتمعنا، والذي ينبغي أن نلتفت إليه أنّ العمليّة التربويّة الإصلاحيّة تحتاج إلى صبر وتأنٍّ وتدرّج ولين؛ فهي لا تُؤتي ثمارها بشكل سريع، إذ لا يمكن أن يتحوّل الطفل إلى شخص متكامل بين ليلة وضحاها، ولعلّ من المناسب أن ننقل هذه القصّة ـ كشاهد على أن التسرع في معالجة الأمور قد يأتي بنتائج عكسية ـ وهي: «**إِنَّ رَجُلاً كَانَ لَه جَارٌ وكَانَ نَصْرَانِيّاً فَدَعَاه إِلَى الإِسْلَامِ وزَيَّنَه لَه؛ فَأَجَابَه، فَأَتَاه سُحَيْراً فَقَرَعَ عَلَيْه الْبَابَ فَقَالَ لَه: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا فُلَانٌ. قَالَ: ومَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: تَوَضَّأْ والْبَسْ ثَوْبَيْكَ ومُرَّ بِنَا إِلَى الصَّلَاةِ. قَالَ: فَتَوَضَّأَ ولَبِسَ ثَوْبَيْه وخَرَجَ مَعَه، قَالَ: فَصَلَّيَا مَا شَاءَ الله ثُمَّ صَلَّيَا الْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَا حَتَّى أَصْبَحَا، فَقَامَ الَّذِي كَانَ نَصْرَانِيّاً يُرِيدُ مَنْزِلَه، فَقَالَ لَه الرَّجُلُ: أَيْنَ تَذْهَبُ النَّهَارُ قَصِيرٌ والَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَ الظُّهْرِ قَلِيلٌ. قَالَ: فَجَلَسَ مَعَه إِلَى أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ قَالَ: ومَا بَيْنَ الظُّهْرِ والْعَصْرِ قَلِيلٌ. فَاحْتَبَسَه حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ، قَالَ: ثُمَّ قَامَ وأَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى مَنْزِلِه فَقَالَ لَه: إِنَّ هَذَا آخِرُ النَّهَارِ وأَقَلُّ مِنْ أَوَّلِه. فَاحْتَبَسَه حَتَّى صَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى مَنْزِلِه، فَقَالَ لَه: إِنَّمَا بَقِيَتْ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ. قَالَ: فَمَكَثَ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ، ثُمَّ تَفَرَّقَا فَلَمَّا كَانَ سُحَيْرٌ غَدَا عَلَيْه فَضَرَبَ عَلَيْه الْبَابَ، فَقَالَ:**

مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا فُلَانٌ. قَالَ: ومَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: تَوَضَّأْ والْبَسْ ثَوْبَيْكَ واخْرُجْ بِنَا فَصَلِّ. قَالَ: اطْلُبْ لِهَذَا الدِّينِ مَنْ هُوَ أَفْرَغُ مِنِّي وأَنَا إِنْسَانٌ مِسْكِينٌ وعَلَيَّ عِيَالٌ»[1].

وقبل أن نبيّن طرق العلاج ينبغي التنبيه على ملاحظتين:

الملاحظة الأُولى: إنّ بعض أنواع الكذب عند الأطفال لا يُعدّ نقصاً أخلاقياً في سلوكه؛ إذ ليس له آثار سلبيّة تنعكس على شخصيّته أو محيطه، بل لعلّ له آثاراً إيجابيّة ونافعة، مثل الكذب الخيالي والالتباسي، فإنّه يكشف عن ذهنٍ وقّاد، وخيال واسع، وقدرة على الإبداع. نعم، هو يحتاج إلى تهذيب وصقل لهذه الموهبة، فيُقال له: إنّك لا تكذب، ولكنّك تُجيد تأليف القصص الخياليّة، إنّ ما تقوله ليس له واقع، ولكنّه جيّد ونافع، أكثر من تأليف القصص والحوادث التي لا واقع لها، ولكن قل: هي حكاية وقصّة، أو هي حادثة أتخيّلها، وهكذا.

الملاحظة الثانية: إنّ من الطبيعي أن يقع الطفل في الخطأ، ويرتكب بعض المخالفات؛ إذ لا يولد الإنسان معصوماً، فإذا كانت الأُسرة تستخدم القسوة والعقوبة بشكل مفرط؛ فإنّ ذلك سيدفع الطفل إلى الكذب، وإخفاء الحقيقة، أو تزييفها، لتجنّب العقوبة، ولهذا؛ فليس من الصحيح أن تعتمد الأُسرة على العقوبة القاسية في مواجهة أخطاء الأطفال؛ وإنّما الصحيح هو التنويع في

---

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤٣ـ٤٤.

أسلوب الردع، بين العقوبة الجسديّة أحياناً، والحرمان من بعض الامتيازات أحياناً أُخرى، والتوبيخ تارة، والتغاضي في حالات أُخرى؛ لأنّ العقوبة دائماً والتوبيخ المستمرّ قد يأتي بنتائج عكسيّة، فقد يقود إلى التمرّد والعصيان العلني، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا عاتبت الحدَث، فاترك له موضعاً من ذنبه؛ لئلاّ يحمله الإخراج**[1] **على المكابرة**»[2]، والمقصود التغاضي عن بعض الأخطاء التي يرتكبها الطفل، لكي لا يحمله التوبيخ المحرج على العصيان والتمرّد، كما يحدث أحياناً عندما يهرب الصبيّ من الأُسرة بسبب شدّة العقوبة والتوبيخ، أو استمرارهما.

وبعد هاتين الملاحظتين نطرح العلاجات التي ذكرها المختصّون، مع ما نستلهمه من النصوص والروايات مما يُسهم في هذا المجال.

أوّلاً: من الضروري زرع القيم الأخلاقيّة في نفوس الأُسرة، وتنمية الشعور الديني فيهم، ويتمّ ذلك من خلال أمرين:

١ـ الجانب النظري: وهو مجموعة التعاليم الأخلاقيّة والتربويّة التي يحتاج الطفل أن يتعلّمها، فيتعلّم أنّ الصدق فضيلة والكذب رذيلة، وأنّ الأمانة رفعة وشهامة، والخيانة خسّة ونذالة، وأنّ حبّ الآخرين سعادة وبغضهم شقاوة، وهكذا.

---

(١) لعلّ المناسب: الإحراج.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٣٣٣.

إنّ غرس هذه الفضائل في نفوس الأطفال يحتاج إلى تكرار المعلومة بأساليب مختلفة ومتنوّعة، تارة من خلال القصّة، وأُخرى من خلال حديث ورواية، وثالثة من خلال الأمثلة، وكان بعض المربين والفضلاء يكتبون الأحاديث القصيرة والمختصرة والنافعة ويعلّقونها على الجدار بحيث يقرأها الأولاد يوميّاً، حتّى يحفظونها، ثمّ يرفعها ويعلّق غيرها، وهكذا حتّى حفظوا جملة وافرة منها، وإذا أضفنا إلى هذه الطريقة شيئاً من التوضيح والشرح المناسب؛ لكانت الفائدة أكبر.

وتعليم الأولاد الفضائل مبكّراً في غاية الأهميّة؛ لما فيها من القابليّة والصفاء والنقاء، ففي كلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ولده الحسن عليه السلام: «**إنّما قلبُ الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قَبِلته**»[1].

٢-الجانب العملي: ونعني به (القدوة الحسنة)، فإنّ الأبناء يتأثّرون كثيراً بسلوك آبائهم ومربّيهم، فإذا كان الأب قدوة حسنة لأبنائه في أخلاقه وسلوكه؛ كان لذلك انعكاسه التلقائي على الأبناء، وهو ما يمكن أن نُطلق عليه (التربية غير المباشرة)، فإذا كان الأب يستعمل الكذب في سلوكه العملي، كأن يكذب على الأُمّ، أو على الأبناء أنفسهم؛ فإن الأبناء سوف يتعلّمون منه ذلك، بل أحياناً يقوم الأبوان بتعليم الأولاد الكذب بشكل مباشر، فمثلاً حينما يطرق الباب شخص لا يرغب الأب بلقائه، فيقول الأب

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صالح: ص٧٥٨.

لولده: قل له : إن أبي غير موجود. أو يأتي أحد الجيران ليطلب شيئاً ما، وهو موجود في الدار، ولكن الأُمّ تقول لولدها: قل لهم: لا يوجد عندنا. وهكذا الكثير الكثير من الأمثلة في حياتنا العمليّة، ولم يلتفت الأبوان ـ مع الأسف ـ أنّهما قدّ علّما ولدهما الكذب، وأحياناً يَعِد الأبوان ولدهما بشيء ثمّ لا يفيان به، كأن تقول الأُم لولدها: إذا نمت مبكّراً أشتري لك حلوى. ولكنّها لا تفي له، أو يقول له الأب: أذا نجحت في الامتحان اصطحبك في سفرة ممتعة. ولكنّه لا يفي له.

وقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يصلح من الكذب جدّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيّه ثم لا يفي له**»[1].

فإنّ من الواضح أنّ الذي يعد أولاده بشيء ثمّ لا يفي لهم به، وإن كان له مردود سلبيّ على نفوسهم، له كذلك مردود أخلاقيّ على سلوكهم، فهم يتعلّمون منه الكذب، ففي أقل التقادير سوف يستخدمون هذا الأسلوب مع أبنائهم عندما يكبرون.

وقد نهت الروايات عن تلقين الأولاد الكذب؛ لأنّهم سيكذبون على آبائهم، فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا تلقّنوا الكذب، فتكذبوا، فإن بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان حتّى لقّنهم أبوهم**»[2].

---

(١) الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص٥٠٥.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٥، ص٣٧٢.

ثانياً: تشجيع الطفل على الصراحة والصدق، وإعطاؤه مكافئة على ذلك، ولو كانت رمزيّة أو نفسيّة، بحيث يُشعره أبواه بالاهتمام والعناية عندما يكون صادقاً، وبخلاف ذلك يُتعامل معه عندما يكذب، أو لا يكون صريحاً؛ إذ لا بدّ من العقوبة المناسبة، مثل الحرمان من اللعب، أو عدم الاهتمام، أو غير ذلك، والمهم لا بدّ أن يشعر الطفل بأهميّة الصدق، ولزوم المحافظة عليه.

ثالثاً: العقوبة مطلوبة لتقويم سلوك الطفل وكبح جماحه أحياناً، وردعه عن ارتكاب الأخطاء الفادحة التي قد تقوده إلى الانحراف في المستقبل، ولكن لا بدّ أن تكون مناسبة لحجم الخطأ، وليس أزيد منه، ومن الضروري أن يشعر الطفل أنّ سبب العقوبة هو المخالفة التي ارتكبها، وليس شيئاً آخر، فهناك بعض الآباء ـ وخصوصاً الأُمّهات مع الأسف ـ يعاقبون الطفل بدافع الانتقام والعصبيّة، وهو خطأ كبير، ومحرم في الدين، بل هو إساءة للعمل التربوي، ولعلّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُشير إلى هذا المعنى عندما قال: «**لا أدب مع غضب**»[1]؛ لأنّ الهدف من العقوبة هو التأديب، ومحاسبته على ارتكاب الخطأ، فإذا شعر أنّ الأب إنّما عاقبه لكونه غاضباً مثلاً، فلا يكون ذلك رادعاً له عن ارتكاب الخطأ، أو أنّ العقوبة مع الغضب تولّد الشعور بالكراهية والنفرة في قلب الطفل.

---

(١) الليثي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٥٣١.

ونقرأ في كلام للإمام موسى بن جعفر عليه السلام أُسلوباً آخر من أساليب العقوبة، وهو أُسلوب الهجر، فقد شكى شخص إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ابناً له، فقال: «**لا تضربه، واهجره ولا تطل**»[1]. فالهجر عقوبة مناسبة كما يراها الإمام، ولكن بشرط أن لا تطول المدّة؛ لأنّها لا تُؤتي ثمارها حينئذٍ؛ لأنّ مع طول المدّة يعتاد الابن على الهجران.

رابعاً: الاهتمام بالطفل عاطفيّاً ونفسيّاً، فقد اتّضح لنا ـ ممّا سبق ـ أنّ بعض أسباب الكذب ترجع إلى شعوره بالحرمان العاطفي والفقر النفسي، وعدم اهتمام الآخرين به، أو التمييز بينه وبين إخوته أو أقرانه، فإنّ هذا الشعور سيوّلد في نفسه روح العداوة والبغض؛ ممّا يجعله يكذب للوقيعة بالآخرين، ونقرأ في الأحاديث الشريفة أنّ من الأمور المهمّة في العمل التربوي مراعاة الجوانب العاطفيّة والنفسيّة للطفل، فقد رُوي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أبصر رجلاً له ولدان، فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال صلى الله عليه وآله: «**فهلّا واسيت بينهما**»[2]. وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**والله، إنّي لأُصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي، وأكثر له المحبّة، وأكثر له الشكر، وإنّ الحق لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره؛ لئلّا يصنعوا به ما فعل بيوسف وإخوته**»[3].

---

(١) الحلّي، ابن فهد، عدّة الدّاعي ونجاح الساعي: ص٧٩.
(٢) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٤٨٣.
(٣) العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٦٦.

ولما قبّل النبيّ صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام، قال الأقرع بن حابس: إنّ لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحداً منهم، فقال صلى الله عليه وآله: «**ما عليّ إن نزع الله الرحمة منك**»، أو كلمة نحوها[1].

إذن؛ فالاهتمام بالطفل عاطفيّاً ونفسيّاً وعدم شعوره بالتمييز بينه وبين إخوته أو أقرانه هو أحد الحلول المهمّة للإقلاع عن الكذب؛ لأنه يقضي على سببين مهمين من أسبابه، وهما: الشعور بالغيرة والعداوة، والشعور بعدم الاهتمام والرعاية.

خامساً: إبعاد الطفل عن البيئة التي تدعوه إلى الكذب، كأصدقاء السوء، وجعله في بيئة مناسبة، فالمرء على دين خليله وقرينه[2].

الظاهرة الثانية: الكذبة البيضاء

إلى جنب ظاهرة الكذب عند الأطفال توجد ظاهر أُخرى عند الكبار، وهي ظاهرة الكذبة البيضاء، والمقصود: التسامح في بعض صور الكذب، فالكذبة الصغيرة لتمشية الأمور، أو للتسهيل يعتبرونها جائزة، فمثلاً يقول مَن يتأخّر عن عمله: إنّ ولده مريض وقد ذهب به إلى الطبيب ولهذا تأخّر، وهو كاذب، أو يقول التلميذ لأُستاذه ـ معتذراً عن حضور الدرس ـ إنّ لديه موعداً مع الطبيب. وهو يكذب، فإنّه يريد الذهاب مع أصدقائه في نزهة، إلى

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مكارم الاخلاق: ص٢٢٠.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٧٥.

غيرها من الأمثلة التي يتعمّد بعضهم فيها الكذب بحجّة أنّها كذبة بيضاء، الهدف منها تمرير الأمر الآخر الذي يريده الكاذب ، وتمشية الحال، بل إن كثيراً من الناس يعدُّ صاحب هذه الكذبة ذكيّاً وفطناً فيما لو وُفّق للنجاح.

ومن الطبيعي أنّ الحديث في هذه الأمثلة ونحوها ليس في صورة الحاجة والضرورة إلى الكذب؛ لأنّ ذلك قد يكون جائزاً، على ما تقدّم الحديث عنه، وإنّما الحديث في صورة عدم الحاجة إلى الكذب، فإنّ من الطبيعي وما ينبغي عمله بالشكل الصحيح هو أنّ الذي يريد عيادة المريض بإمكانه المجيء في الوقت المسموح به، وأنّ التلميذ له أن يذهب مع أصدقائه ولكن في وقت آخر لا يزاحم الوقت الأساسيّ المخصّص للدراسة وكذلك بالنسبة للموظف أو أيّ شخص لديه تقصير وعوّض عن ذلك التقصير بالكذب وعدم قول الحقيقة!

وهذه الظاهرة شائعة جدّاً في بعض المجتمعات، ويعتقد الكثير أنها من الكذب الجائز؛ لأنه لا يترتب عليه أثرٌ خطير، مع أن في الروايات ما يدلّ على حرمة الكذب حتى في الأمور الصغيرة والبسيطة والتي لا تترتب عليها مضارّ، ولعلها تُسمى كُذيبة في ألسنة الروايات.

فقد روى لنا المؤرّخون أنّ أسماء بنت عميس قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيّأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة، فوالله، ما وجدنا عنده قوتاً إلّا قدحاً من لبن، فشرب ثمّ ناوله عائشة، فاستحيت الجارية فقلنا: لا تردّي يد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، خذي منه. فأخذته على حياء،

فشربت منه، ثمّ قال: «**ناولي صواحبك**»، فقلن: لا نشتهيه، فقال: «**لا تجمعن جوعاً وكذباً**»، قالت: فقلت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه يُعدّ ذلك كذباً؟ قال: «**إنّ الكذب ليكتب حتّى تُكتب الكُذَيبة كُذَيبة**»[١].

وقولهنّ: لا نشتهيه كُذَيبة صغيرة، أو إن صحّ التعبير بتعبيرنا (كذبة بيضاء)، ولكنّ النبي صلى الله عليه وآله قد نهى عن ذلك، وعدّه من الكذب المحرّم.

وفي قصّة أُخرى يرويها عبد الله بن عامر، حيث يقول: «**دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أُعطك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أردتِ أن تُعطيه؟»**»، قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أما إنّك لو لم تُعطه شيئاً كُتبت عليكِ كذبة**»[٢].

فإذا كان الكذب في مثل ما جاء في الحديثين لا يجوز، فهو غير جائز فيما ذكرناه من أمثلة بشكل أوضح.

وقد كان أهل الورع يحترزون عن مثل هذا الكذب ولو كان ممّا يتسامح به الناس، قال الليث بن سعد: كانت ترمص[٣] عينا سعيد بن المسيّب حتّى يبلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له: لو مسحت هذا الرمص، فيقول: فأين قول الطبيب وهو يقول لي: لا تمس عينيك فأقول: لا أفعل[٤].

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٦، ص٤٣٨.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج١٠، ص١٩٨.

(٣) قال الخليل: «رمص: الرمص: غمص أبيض تلفظه العين فتوجع له». أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٧، ص١٢٢.

(٤) أُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٥٨.

وعن خوات التيمي قال: قد جاءت أُخت الربيع بن خثيم عائدة إلى بنيّ لي، فانكبّت عليه فقالت: كيف أنت يا بُنيّ، فجلس الربيع فقال: أرضعته؟ فقالت: لا، قال: ما عليكِ لو قلت: يابن أخي فصدقتِ[1].

إذن، فالكذبة البيضاء ناشئة من تسامح الناس وتساهلهم في بعض صور الكذب، ومجرّد التسامح لا يجعل منه جائزاً وأمراً مستساغاً، فهو محرّم بلا شكّ.

الظاهرة الثالثة: كذبة نيسان (أبريل)

من الظواهر السلبيّة في المجتمع جَعْل أوّل يوم من شهر أبريل (نيسان) يوماً للتسلية والترويح عن النفس من خلال الكذب، فيقوم بعضهم بالكذب على الآخرين بشيءٍ ما، فإذا ما صدّق هذا الأخير، وانطلت عليه الكذبة؛ صار أضحوكة لهم، فمثلاً يقولون لصديقهم: إنّ مدير العمل يطلبك، أو أنّه يريد منك أن تصنع شيئاً معيّناً، فإذا ما ذهب هذا الشخص إلى المدير، أو قام بالشيء المعيّن، ثمّ اتضح له أنّها مجرّد كذبة، تضاحك عليه الأصدقاء، وقالوا له: لقد مضت عليك كذبة أبريل. أو يقوم شخص بالصراخ، وهو ينادي: أنجدوني، لقد احترق بيتي، فإذا اجتمع عليه الناس تبيّن لهم أنّه يكذب، فيضحك عليهم، ويقول لهم: لقد مضت عليكم كذبة أبريل.

---

(١) المصدر السابق.

وقد جاءت هذه المزحة من بلاد الغرب، وقد ذكروا لها مناشئ متعدّدة[١]، ولا زالوا إلى يومنا هذا يمارسون هذه المقالب في أوّل شهر أبريل، والشيء المؤسف أنّ هذه الظاهرة قد انتقلت إلى مجتمعاتنا الإسلاميّة، وصار شبابنا يمارسون هذا النوع من الكذب في هذا التاريخ السنوي، وكأنّه نوع من الثقافة الراقية، وإذا ما سألتهم عن ذلك؛ أجابوا: إنّها كذبة أبريل.

---

(١) الأقوال في منشأ هذه الكذبة كثيرة، فقد قيل: إنّ أصل هذا اليوم هو أنّ الكثير من مدن أوروبا ظلّت تحتفل بمطلع العام في الأوّل من أبريل، حيث بدأت هذه العادة في فرنسا بعد تبنّي التقويم المعدّل الذي وضعه شارل التاسع عام ١٥٦٤م وكانت فرنسا أوّل دولة تعمل بهذا التقويم وحتّى ذلك التاريخ كان الاحتفال بعيد رأس السنة يبدأ في يوم ٢١ مارس وينتهي في الأوّل من أبريل بعد أن يتبادل الناس هدايا عيد رأس السنة الجديدة.

ثمّ جاء البابا غريغوري الثالث عشر بنهاية القرن السادس عشر وعدّل التقويم ليبدأ العام في ١ يناير، وتبدأ احتفالات الأعياد من ٢٥ ديسمبر، وأطلق الناس على مَن ظلّوا يحتفلون حسب التقويم القديم تعليقات ساخرة؛ لأنّهم يصدّقون (كذبة أبريل)،

وهناك رأي آخر يقول: إنّ هناك علاقة قويّة بين الكذب في أوّل أبريل وبين عيد (هولي) المعروف في الهند، والذي يحتفل به الهندوس في ٣١ مارس من كلّ عام، وفيه يقوم بعض البسطاء بمهام كاذبة لمجرّد اللهو والدعاية، ولا يُكشف عن حقيقة أكاذيبهم هذه إلّا مساء اليوم الأوّل من أبريل.

وهناك جانب آخر من الباحثين في أصل الكذب يرون أنّ نشأته تعود إلى القرون الوسطى؛ إذ أن شهر أبريل في هذه الفترة كان وقت الشفاعة للمجانين وضعاف العقول فيطلق سراحهم في أوّل الشهر، ويصلّي العقلاء من أجلهم، وفي ذلك الحين نشأ العيد المعروف باسم عيد جميع المجانين أُسوة بالعيد المشهور باسم عيد جميع القديسين.

وهناك آراء أُخرى، راجع موقع الموسوعة الحرّة مقال تحت عنوان (تاريخ كذبة أبريل) https://ar.wikipedia.org/wiki/4

ويجدر الالتفات إلى أنّ هذه الظاهرة يرافقها في أحيان كثيرة إيذاء الآخرين والحطّ من كرامتهم؛ فهي تجمع بين رذيلة الكذب ورذيلة الإيذاء والتجاوز على الآخرين، وقد وقعت حوادث كثيرة بسبب هذه الظاهرة.

وممّا يُنقل أنّ سيّدة من البلاد الأوربيّة سمعها الناس تصرخ، وتقول: إنّي أحترق. ولكنهم لم يصدّقوها بداعي أنّها كذبة أبريل، ولكنّ الحقيقة أنّها كانت تحترق[1].

إنّ مرجع هذه الظاهرة هو شدّة التأثّر بالغرب، وكثرة محاكاتهم، ليس في هذه الظاهرة فحسب، بل في الكثير من السلوكيّات، مثل الاحتفال بعيد رأس السنة الميلاديّة، وكذلك عيد الحب... وغير ذلك من الثقافات المستوردة؛ إذ من المعروف أنّ المناسبات تتعلّق بالأحداث التي وقعت في تاريخ تلك الأُمّة أو الرقعة الجغرافيّة؛ وعلى هذا الأساس، فلكلّ أُمة مناسباتها الخاصّة، وحوادثها المرتبطة بها، فالمجتمع الإسلامي له مناسباته الدينيّة، مثل رأس السنة الهجرية، ومثل تاريخ ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله وتاريخ ولادة أئمّة أهل البيت عليهم السلام والصدّيقة الطاهرة عليها السلام، وولادة الشخصيّات الإسلاميّة المهمّة، وتاريخ المبعث النبوي، وبيعة الغدير، والحروب الإسلاميّة الفاصلة، مثل واقعة بدر وأُحد والخندق، وغيرها، وتاريخ الثورات الإسلاميّة التي شكّلت انعطافة في المسيرة الإسلاميّة، وفي مقدّمتها واقعة الطف، إلى غيرها من الحوادث والمناسبات الإسلاميّة، فهذه المناسبات هي التي تنتمي إلينا، وتتعلّق بنا، والمناسب أن نستذكرها ونحتفل بها .

---

(١) المصدر السابق.

وينبغي أن لا يفهم كلامنا على أنّنا ضدّ التعلّم من الآخرين، لا، بل على العكس، إنّنا ندعو إلى الاستفادة من الآخر، ولكنّ الاستفادة النافعة في الميدان العلمي والفكري والصناعي والاقتصادي، والذي ننبذه هو التقليد الأعمى، والمحاكاة السلبيّة، التي هي لمجرّد المحاكاة، دون أن يكون لها دوافع علميّة أو عقلائيّة، مثل كذبة أبريل (محلّ الكلام)، التي تتنافى مع شرعنا وأخلاقنا.

ومناشئ التأثّر السلبيّ بالغير كثيرة، منها: ضعف الثقافة بتاريخنا وحضارتنا، فالذي لا يعرف شيئاً عن تاريخه وحضارته، فمن الطبيعي أن يتأثّر بحضارة الغير وتاريخهم، ولو اطّلع على حضارة بلده وقرأ جيّداً تاريخها ومراحل ازدهارها؛ لتأثّر بها كثيراً، فالذي يطالع تاريخ الإسلام الذي ينتمي له عقيدةً وفكراً، لتأثّر بشخصيّاته، وإنجازاته، ودستوره وثقافته، ولتحفّز كثيراً نحو التقدّم والرقي؛ لأنّ الإسلام بلا شكٍّ يمتلك من مقوّمات التقدّم والتكامل ما لا تملكها أيّ شريعة أُخرى سماويّة كانت أو أرضيّة .

ومنها أيضاً: ضعف الاطّلاع الديني على المسائل الشرعية، فالذي لا يعرف تفاصيل حرمة الكذب وحدودها ومستثنياتها، تنطلي عليه مثل هذه الثقافة السلبيّة، فيتقبّلها دون ممانعة عقائدية أو أخلاقيّة، تماماً كالمريض الذي لا يستطيع حماية جسمه من الأمراض لضعف الجهاز المناعي في جسمه، فكذلك حال الإنسان المسلم الذي لا يمتلك من الثقافة والوعي في أُمور دينه ما يستطيع معه من مواجهة الأمراض الأخلاقيّة، والأوبئة الفكريّة التي تبثّها

الكثير من الجهات التي لا يهدأ لها بال، ولا يهنأ لها عيش إلاّ بحرف الشباب المؤمن عن دينه وعقيدته وأخلاقه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

(١) البقرة: آية ٢١٧.

الخلاصة:

تحدّثنا ـ فيما سبق ـ عن معنى الكذب وتعرّفنا على حدوده، واتّضح أنّ للعلماء في ذلك مذاهبَ وآراء، ثمّ تحدّثنا عن حرمته ومبغوضيّته في ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتوصّلنا إلى أنّ الكذب من الأخلاق الذميمة التي حرّمتها الشريعة؛ لما يترتّب عليها من آثار ومفاسد إلّا ما استُثني، واطّلعنا بعد ذلك على أنواع الكذب ومصاديقه، وهي تتفاوت شدّةً وضعفاً، فالكذب على الله ورسوله أشدّ من الكذب على الناس، وشهادة الزور أشدّ من خلف الوعد، وهكذا، وتعرّفنا على آثار الكذب، واتّضح أنّ بعضها دنيويّة وبعضها أُخرويّة، ثمّ وقفنا عند مبرّراته ودواعيه؛ لنتلمّس لأصحابه عذراً ولكنّنا لم نجد ما يبرّره إلّا بعض الحالات التي أشرنا إليها، ثمّ سلطنا الضوء على علاج الكذب وحاولنا أن نذكر ما ينفع في علاجه والوقاية منه، وأدرجنا في الفصل الأخير ثلاث ظواهر اجتماعية شائعة؛ هي الكذب عند الأطفال، والكذبة البيضاء، وكذبة نيسان (أبريل).

هذا مجمل حديثنا عن الكذب ولكن في ختام حديثنا عن رذيلة الكذب

الخاتمة:

نودّ أن نلفت انتباه القارئ إلى أنّ التخلّص من هذا الخلق السيّئ لا يتوقّف على استشعار خطورته، والتأمّل في سلبيّاته فقط، وإنّما يحتاج إلى حُسن التوكّل على الله سبحانه، وصدق النيّة في إرادة التخلّص منه والإقلاع عنه، والتصميم على عدم ارتكابه، والمسارعة إلى التوبة منه فيما لو صدر عن غفلة أو نسيان، وأن لا ننسى أن نواظب على قراءة أدعية مكارم الأخلاق، التي لها مردودات إيجابيّة على النفس والروح والعقل.

«اللّهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ وَبُعْدَ المَعْصِيَةِ وَصِدْقَ النِيَّةِ وَعِرْفانَ الحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنا بالهُدى وَالاسْتِقامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنا بِالصَّوابِ وَالحِكْمَةِ، وَاملأ قُلُوبَنا بِالْعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنا مِنَ الحَرامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنا عَنْ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصارَنا عَنْ الفُجُورِ وَالخيانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْماعَنا عَنْ اللَّغْوِ وَالغِيْبَةِ، وَتَفَضَّلْ عَلى عُلَمائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلى المُتَعَلِّمِينَ بالجِهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلى المُسْتَمِعِينَ بِالاتِّباعِ وَالمَوْعِظَةِ، وَعَلى مَرْضى المُسْلِمِينَ بِالشِّفاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلى مَوْتاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلى مَشايِخِنا بِالْوِقارِ وَالسَّكِينَةِ، وَعَلى الشَّبابِ بِالإنابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلى النِّساءِ بالحَياءِ وَالعِفَّةِ، وَعَلى الأَغْنِياءِ بِالتَّواضِعِ وَالسِّعَةِ، وَعَلى الفُقَراءِ بِالْصَبْرِ وَالقَناعَةِ، وَعَلى الغُزاةِ بِالْنَصْرِ

وَالغَلَبَةِ، وَعَلى الأُسَراءِ بِالخَلاصِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلى الأُمَراءِ بِالعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلى الرَّعِيَّةِ بِالإنْصافِ وَحُسْنِ السَّيرَةِ ...»[1].

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٢٠٥.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم
* نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: الدكتور صبحي الصالح، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ط: ١.
* تفسير الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم ـ إيران، ربيع الأول ١٤٠٩هـ، ط:١.

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م، ط: ١.
٢. ابن الأثير الجزري، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم ـ إيران، ١٣٦٤هـ ش، ط: ٤.
٣. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الاعمال، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، رجب ١٤١٤هـ، ط:١.
٤. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٥. ابن منظور، محمّد بن مكرّم، لسان العرب، الناشر: أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

٦. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق: سعيد محمّد اللحّام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ط: ١.
٧. الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ط: ٤.
٨. الأنصاري، مرتضى، كتاب المكاسب، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئويّة الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤٢٠هـ، ط: ٢.
٩. البحراني، ابن ميثم، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام تحقيق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.
١٠. البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
١١. البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني المحدّث، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٧٠هـ.
١٢. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١٣. الجوهري، أحمد بن عبيد الله، مقتضب الأثر في النص على الأئمّة الاثني عشر، الناشر: مكتبة الطباطبائي، قم ـ إيران.

١٤. الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤هـ، ط: ٢.

١٥. الحسني الراوندي، فضل الله بن علي، النوادر، تحقيق: سعيد رضا عسكري، الطباعة والنشر: دار الحديث ١٣٧٧هـ، ط: ١.

١٦. الحكيم، محسن، منهاج الصالحين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٧. الحلّي، أحمد بن فهد، عدّة الداعي ونجاح الساعي، تحقيق: أحمد الموحّدي القمّي، مكتبة وجداني، قم ـ إيران.

١٨. الحموي، علي بن عبد الله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

١٩. الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة، الناشر: مكتبة الداوري، قم ـ إيران، ط: ١.

٢٠. الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، مطبعة مهر، قم ـ إيران، ١٤١٠هـ، ط: ٢٨.

٢١. دريدا، جاك، تاريخ الكذب، ترجمة وتقديم: رشيد بازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠١٦م، ط: ١.

٢٢. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ، ط٣.

٢٣. الرازي، محمّد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، ط: ١.
٢٤. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، ١٤٢٧هـ، ط: ٢.
٢٥. الروحاني، محمّد صادق، منهاج الصالحين، ١٤٠٤هـ.
٢٦. الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر: دار الحديث، ط: ١.
٢٧. الزركشي، محمّد بن بهادر، البحر المحيط في أُصول الفقه، ضبط نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: الدكتور محمّد محمّد تامر، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط: ١.
٢٨. الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ط: ١.
٢٩. السمعاني، عبد الكريم بن محمّد، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: سعيد محمّد اللحّام، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م، ط: ١.
٣٠. السيستاني، علي، منهاج الصالحين، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، قم ـ إيران، ١٤١٤هـ، ط: ١.
٣١. السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ط: ١.

٣٢. الشيرازي، محمّد الحسيني، تقريب القرآن إلى الأذهان، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ط: ١.

٣٣. الصدر، محمّد، ما وراء الفقه، المحبّين للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م، ط: ٣.

٣٤. الصدوق، محمّد بن علي ، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٤٠٣هـ.

٣٥. الصدوق، محمّد بن علي ، مَن لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ط: ٢.

٣٦. الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، ١٤٢٧هـ، ط: ١.

٣٧. الصدوق، محمّد بن علي، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.

٣٨. الصدوق، محمّد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٩. الصدوق، محمّد بن علي، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم إيران، ١٣٧٩هـ، ط: ١.

٤٠. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القران، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران.

٤١. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق: محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ـ العراق، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٤٢. الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ط: ٦.

٤٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ط: ١.

٤٤. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، منشورات المكتبة المرتضويّة، طهران ـ إيران، ١٣٩٥هـ، ط: ٢.

٤٥. الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي)، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، ١٤٠٤هـ.

٤٦. الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ـ إيران، ١٤١٤هـ، ط: ١.

٤٧. الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، طباعة ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ط: ١.

٤٨. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظمﷺ، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ـ إيران، ١٤٢٦هـ، ط: ١.

٤٩. العجلوني الجراحي، إسماعيل بن محمّد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ط: ٣.

٥٠. العسكري، أبو هلال، الفروق اللغويّة، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ، ط: ١.

٥١. العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ـ إيران.

٥٢. الغازي، داود بن سليمان، مسند الرضاعليه السلام، تحقيق: محمّد جواد الحسيني الجلالي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨هـ، ط: ١.

٥٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٩هـ، ط: ٢.

٥٤. الفضلي، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، دار المؤرّخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٥. الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ط: ٨.
٥٦. الفيض الكاشاني، المولى محسن، الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، أصفهان ـ إيران، ١٤٠٦هـ، ط: ١.
٥٧. القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٥٨. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٥٩. القمّي المشهدي، محمّد بن محمّد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ط: ١.
٦٠. القمّي، الشيخ عبّاس، مفاتيح الجنان، تعريب: السيد محمّد رضا النوري النجفي، الناشر: مكتبة العزيزي، قم ـ إيران، ٢٠٠٦م، ط: ٣.
٦١. الكاشاني، المولى محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفّاري، دفتر انتشارات إسلامى، قم ـ إيران، ط: ٢.
٦٢. الكاشاني، ملّا فتح الله، زبدة التفاسير، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران، ١٤٢٣هـ، ط: ١.

٦٣. الكفري، علي محمّد، أبيات فاقت شهرتها قائليها، مكتبة العبيكان، ٢٠١٢م.
٦٤. الكليني محمّد بن يعقوب الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران ـ إيران، ط: ٥.
٦٥. الليثي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، الطباعة والنشر: دار الحديث، ط: ١.
٦٦. المازندراني، المولى محمّد صالح، شرح أُصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ط: ١.
٦٧. المالكي المكّي، علي بن محمّد بن أحمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ، ط: ١.
٦٨. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ط: ٢.
٦٩. المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين في شرح مَن لا يحضره الفقيه، تحقيق وتعليق: حسين الموسوي الكرماني، والشيخ علي پناه الإشتهاردي، الناشر: بنياد فرهنگ إسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.
٧٠. مصباح اليزدي، محمّد تقي، الأخلاق في القرآن الكريم، تحقيق: محمّد حسين اسكندري، ترجمة: الشيخ كاظم فقيه صالحي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ط:٢.

٧١. مغنية، محمّد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٩٨١، ط: ٣.

٧٢. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ط: ٢.

٧٣. المقدّس الأردبيلي، أحمد بن محمّد، زبدة البيان في أحكام القرآن، تحقيق: محمّد الباقر البهبودي، الناشر: المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة، طهران ـ إيران.

٧٤. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم ـ إيران، ط:١.

٧٥. الميداني، أحمد بن محمّد، مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدسة، ١٣٦٦ هـ ش.

٧٦. النراقي، محمّد مهدي، جامع السعادات، تحقيق: السيد محمّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفّر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف ـ العراق.

٧٧. النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ط: ١.

٧٨. النووي، يحيى بن شرف، الأذكار النووية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٩. النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٨٠. النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر.
٨١. الهروي، القاسم بن سلام، غريب الحديث، تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٣٨٤هـ، ط: ١.

مصادر على شبكة الإنترنيت

١. تاريخ كذبة أبريل، مقال منشور على موقع الموسوعة الحرّة، https://ar.wikipedia.org/wiki 4.
٢. الحرب الناعمة وطرائق الغزو الجديدة، مقال منشور على موقع الميادين بتاريخ: ١١ شباط ٢٠١٦م.
http://www.almayadeen.net/episodes/.
٣. علامات الكذب في علم النفس، إبراهيم العبيدي، مقال منشور على موقع (موضوع)، https://mawdoo3.com.

٤. كذب، مقال منشور تحت عنوان على موقع الموسوعة الحرّة، https://ar.wikipedia.org/wiki8.

٥. هل في القرآن ما يدلّ على أنّ الإنجيل لم يحرّف؟، مقال منشور على موقع (الإسلام سؤال وجواب)، بتاريخ: ٢٣/ ٦/ ٢٠١٣. https://islamqa.info/ar/answers.

محتويات الكتاب

كلمة المؤسسة ٧
(مؤسسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها ٩
رؤية المؤسسة ٩
أوّلاً: الله تعالى بصفاته الكماليّة والجماليّة ٩
ثانياً: النظام الأخلاقي ١٠
ثالثاً: الإنسان ١١
أهداف المؤسسة ١٢
مشاريع المؤسسة ١٤
المقدّمة ١٩

المبادئ الأخلاقيّة في القرآن الكريم

المبدأ الأوّل: اختيار الإنسان ٢٥
المبدأ الثاني: غائيّة الإنسان ٢٧
المبدأ الثالث: دور الأعمال في بلوغ الغاية ٣٠
سلسلة الفضائل والرذائل ٣٢

الفصل الأوّل : في معنى الكذب

١ـ الكذب لغة: ٤١
٢ـ الكذب اصطلاحاً: ٤٥

٣ـ الكذب في الأخبار المستقبلية: ٤٨
٤ـ الكذب في غير القول..... ٥٠
٥ـ مفردات ذات صلة..... ٥٤
الإفك ٥٥
الافتراء ٥٧
قول الزور ٥٩
البهتان ٦٠
التورية ٦١

الفصل الثاني : حرمة الكذب في الكتاب والسنّة

البحث الأوّل : حرمة الكذب في القرآن الكريم ٧٢
١ـ الكفر والكذب ٧٢
٢ـ الوعيد والتهديد ٧٤
٣ـ الكذب وقول الزور ٧٦
البحث الثاني : حرمة الكذب في النصوص الروائية..... ٧٩
١ـ الملازمة بين الكذب وعدم الإيمان..... ٧٩
٢ـ العلاقة بين الكذب وشرب الخمر ٨١
٣ـ بِمَ يهلك الكاذب؟ ٨٣
٤ـ أربى الربا الكذب ٨٥
٥ـ الكذب والخبائث «أربى الربا الكذب»..... ٨٨

الفصل الثالث : أنواع الكذب

١ـ الكذب على الله ورسوله وأهل البيت ٩٢
ظاهرة الوضع في الحديث ٩٧
الخلاصة: ٩٩
٢ـ الوعد الكاذب ١٠٠
٣ـ شهادة الزور ١٠٤
٤ـ اليمين الكاذب ١٠٦
٥ـ الكذب على الناس ١٠٩
الصورة الأُولى: النفاق ١٠٩
الصورة الثانية: البهتان ١١٠
الصورة الثالثة: الكذب الخيالي ١١١
الصورة الرابعة: إخبارات المتنبّئين ١١١
الصورة الخامسة: انتحال الشخصية ١١٣

الفصل الرابع: مستثنيات حرمة الكذب

المورد الأوّل: الكذب لأجل الضرورة ١١٨
المورد الثاني : الإصلاح ١١٨
المورد الثالث : المكيدة في الحرب ١٢٢
المورد الرابع: مواعدة الزوجة ١٢٣
المورد الخامس : الكذب في المزاح ١٢٤
الحالة الأولى : ١٢٥

الحالة الثانية : ١٢٥
الحالة الثالثة : ١٢٥

الفصل الخامس : عواقب الكذب وآثاره

القسم الأول ١٣١
القسم الثاني ١٣١

الفصل السادس : دواعي الكذب ومبرّراته

١ـ حماية المكانة الاجتماعيّة ١٣٩
٢ـ حفظ الخصوصيّة ١٤٠
٣ـ الخشية من ردود الأفعال ١٤٢
٤ـ التأثير على نفسيّة السامع ١٤٣
٥ـ الحرب الناعمة..... ١٤٦
٦ـ بلوغ الغاية ١٤٧

الفصل السابع : علاج الكذب أو الوقاية منه

١ـ الخوف من الله تعالى..... ١٥١
٢ـ الرضا بقضاء الله والتوكّل عليه ١٥٣
٣ـ ترويض النفس على الصدق ١٥٥
٤ـ التربية الصالحة للأبناء وتعليمهم الصدق ١٥٥
٥ـ الاطّلاع على مساوئ الكذب وعواقبه ١٥٩
٦ـ اجتناب مجالسة الكذّابين. ١٥٩
٧ـ تجنّب الاستماع للعلماء الكذّابين..... ١٦٢

الفصل الثامن: ثلاث ظواهر اجتماعيّة

الظاهرة الأُولى: الكذب عند الأطفال ١٧٧
الدافع الأوّل: الخوف من العقوبة ١٧٩
الدافع الثاني: التقليد ١٨٠
الدافع الثالث: اكتساب هويّة مميّزة ١٨٠
الدافع الرابع: العداء أو الولاء ١٨١
الدافع الخامس: تحصيل المكاسب ١٨١
الدافع السادس: تجنّب المتاعب ١٨١
الدافع السابع: الشعور بالإهمال ١٨١
ثانياً: أنواع الكذب ١٨٢
ثالثاً: علاج الكذب ١٨٥
الملاحظة الأُولى: ١٨٦
الملاحظة الثانية: ١٨٦
الظاهرة الثانية: الكذبة البيضاء ١٩٢
الظاهرة الثالثة: كذبة نيسان (أبريل) ١٩٥
الخلاصة: ٢٠٠
الخاتمة: ٢٠١
المصادر والمراجع: ٢٠٣